

الفصل التاسع عشر
أرسطو والإسكندر
اللوقيون

ازدياد قوة مقدونيا :

نقبل الآن على عصر جديد ، عصر أرسطو ، وهو يختلف اختلافاً جوهرياً عن سابقه ، عصر أفلاطون ، من وجوه كثيرة على ما بينهما من شبه وتداخل . فالمرح السياسي هنا مقدوني وليس هليينياً كما كان ، ويتطلب ذلك بعض الإيضاح .

يتبين من إلقاء نظرة على الخريطة أن مقدونيا قطر من أقطار البلقان ، يقع في شمالى تساليا ، وشرقى الليريا ، وغربى طراقيا . ولا تظهر على الخريطة حدود فاصلة بين هذه الأقطار ، غير أن أسماءها المكتوبة بحروف ضخمة تدل على موقعها بالتقريب . ولعل هذه هي أفضل السبل للتعرف عليها . هذا إلى أن هذه الحدود ، أيها وجدت ، لم تكن ثابتة ، وكان ملوك مقدونيا يوسعون رقعة أراضيهم من وقت لآخر ، حتى شملت مقدونيا ، آخر الأمر . خايبكيدىكى ، شبه الجزيرة ذات السيقان الثلاث (وهي صورة مصغرة من البلوبونيس) ، والراقعة في الطرف الشمالى الغربى من بحر إيجه ، وهي منطقة أشبه بجزر هذا البحر منه بمقدونيا نفسها . ولم ينحدر سكان مقدونيا من سلالة بعينها ، إذ لم تكن هناك سلالة مقدونية ، وإنما كانوا خليطاً من سلالات طراقية والليرية (ألبانية) . ولم تكن لغة المقدونيين اللغة الإغريقية . غير أنه من العسير أن نحدد طبيعة لغاتهم التى هى فرع من أسرة اللغات الهندية-الأوروبية ، وإن اختلفت ، فيما يرجع ، عن الفرع الهلنى والفرع السلافى . وكانت اللهجات الطراقية وثيقة الصلة باللهجات الفريجية السائدة في الجزء الشمالى الغربى من آسيا الصغرى

(جنوب بحر مرمره) . وتتمثل اللهجات الالابرية الآن في اللغة الألبانية^(١) . لكن لما كان جنوب مقدونيا شديد القرب من تساليا وأيروس ، رحل إليه اللاجئون الإغريق في زمن مبكر ، كما هاجرت إليه جموع غفيرة من أرجوس (في البلوبونيس) . وسرعان ما تسربت كلمات أجنبية إلى اللهجة الدورية ، لهجة المهاجرين . ونعتقد أنه كان يسهل على النسوة المتردات على السوق العامة في أثينا أن يميزن عن سائر المواطنين الغرباء من الإغريق مقدونيي الأصل ، حتى ولو كانوا على قسط كبير من الثقافة .

وحكمت المقدونيين أسرة من الملوك بدأت في رأى بعضهم بالملك كرانوس Caranos الأرجوسى (حوالى ٧٥٠) ، ووفقاً لرأى بعضهم الآخر بالملك بيردكاس الأول ، Perdicas ، وهو أيضاً من أصل أرجوسى (٧٠٠ - ٦٥٢) . ومعلوماتنا طفيفة عن تاريخ المقدونيين حتى عهد الملك السادس^(٢) ، أمينتاس الأول Amyntas (٤٥٠-٤٩٨) ، ولكن هذا الملك الذى حالف الفرس ، لم يلمت إليه الأنظار . وتعاقب الملوك . ولم تتغير الحال إلا بعد أن تولى العرش الملك الثانى والعشرون ، وهو فيليب الثانى المقدونى (٣٥٩ - ٣٣٦) . وكان ملوك مقدونيا إغريقاً ، ولكنهم تزوجوا من نساء مقدونيات ، فاختلط نسلهم الإغريقى مراراً بأنسال وطنية . ولم تتعلم أم فيليب المقدونية لغة الإغريق إلا في سن متقدمة ، غير أن فيليب تعلم منذ نشأته تعليماً إغريقياً . فلما آل إليه السلطان في سنة ٣٦٠ ، كان ملمماً بأحوال بلاد الإغريق كل إلمام : من فوضى سياسية تتخللها هذانات مزعزعة ، إلى محالفات تبرم وتلغى ، وتستبدل بها أخرى جديدة . فلم يكن هناك أمل في السلم إلا إذا فرضه عاجل لديه قوة ساحقة . ووطد فيليب عزمه على أن يكون هو ذلك العاجل . وشهد أثناء مدة أسره في طيبة أساليب عسكرية مبتكرة فلم يتقنها فحسب ، بل أدخل عليها أيضاً تحسينات جديدة . وأنشأ جيشاً محترفاً دربه على الحركة والقتال في تنظيم جديد ، وهو الفيلىق المقدونى ، والذى كان يتألف من المشاة والفرسان ، الأولون في القلب ، والآخرون في الجناحين ، ويعملون جميعاً متضامنين . ولم يكن من المستطاع بوجه عام مقاومة أساليب القتال

المقدونية ، التي ظلت أفضل أساليب حربية قروناً عديدة ومع بساطتها كان تطبيقها يتطلب مواهب غير عادية . وكانت قيمتها منوطة إلى حد كبير بما يظهره القائد من نبوغ ، في تدريب جنوده تدريباً وثيداً مستمراً في ميادين التدريب ، وبعده في سرعة ارتجال الخطط التي يستلزمها الموقف في ميدان القتال . واستطاع فيليب أن يقضى على المنازعات القبلية الناشئة بين سكان الجبال ، وأنشأ اتحاداً قومياً . وقد توافرت لديه الفرص لتدريب جيشه في منطقتة ، وفي جنوب الدانوب وغرب البحر الأسود ، وأخذ بالتدريج يوسع رقعة مملكته ويوطد دعائمها . وبعد ذلك تأهب للقضاء على الفوضى الضاربة أطنابها بين الإغريق . وليس هناك ما يدعو إلى سرد قصة حملاته .

وما الأثر الذي أحدثته نهوض مقدونيا في نفوس الإغريق والأثينيين خاصة ؟ ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن فيليب ، برغم تربيته ، لم يكن في نظرهم إغريقيا قحاً . وهو إن لم يكن متبربراً . كان أجنبيّاً على أى حال . وقد أخذت أطماعه تزداد وضوحاً على مرّ السنين . فهل يدعن الإغريق ، وهم الذين ضاقوا ذرعاً بجميع الزعماء إلى ذلك الحين ، لسيادة رجل دخيل^(٣) ؟ وكان في أثينا حزبان كبيران ، أحدهما يتزعمه أسوقراط وهو شيخ (٤٣٦ - ٣٣٨) ، وفي وسعنا أن نسميه في لغتنا الحديثة بحزب المتعاونين . وأما الحزب الآخر فكان موجه سياسته هو ديموستين ، أعظم الخطباء الأتيكيين (٣٨٥ - ٣٢٢) ، وهو الذي ألقى خطباً شعواء ندد فيها بأهداف فيليب الويلية ودافع عن حرية بلاد الإغريق^(٤) . واقترح ديموستين في الخطبة الرابعة من هذه الخطب العظيمة طلب النجدة من الفرس لحماية استقلال الإغريق من أطماع مقدونيا الاستعمارية . وقد أفسدت فارس الجو بتدخلها في الحروب الأهلية المستمرة التي نشرت الخراب في العالم الإغريقي زهاء قرن من الزمان ، فكانت على استعداد دائماً للزج بنفسها في شؤنه ، بل إن كلا من الفريقين المتطاحنين على الزعامة لم يتورع عن قبول الرشوة من الفرس ، والتحالف مع عدو البلاد لتحقيق أغراضه الخاصة . ولهذا اتسمت الحروب الأهلية اليونانية دائماً بطابع دولي . ولكن الموقف تغير باعتلاء فيليب العرش ،

فظهرت حينئذ في الأفق دولتان أجنبيتان قويتان ، هما فارس ومقدونيا . وكان يسبق الحروب بين الإغريق ويصحها قدر كبير من الدعاية ، والدسائس السياسية ، والتجسس والخيانة . ولم يكن في وسع الإغريق الدفاع عن كياناتهم بدون التزود بالسلح الأجنبي . ودار على الألسنة السؤال التالي : أى العدوين أو أى الوصيين المنتظرين ، كان أكثر خطرا : مقدونيا نصف الإغريقية ، أم فارس ، الدولة الشرقية قلباً وقالبا ؟

ولعل ديموستين وأنصاره كانوا كما زعموا أكثر وطنية من غيرهم . وقد أدرك الحزبان أن الحاجة ماسة إلى اتحاد قومي . وذهب حزب المتعاونين إلى أن الاتحاد مستحيل ، أو لا سبيل إلى قيامه إلا تحت زعامة مقدونيا . وأما الحزب الآخر فقد جاهد في سبيل الاستقلال القومي والاتحاد . وإذ ليدو لنا الآن ، مع بعد الزمن ، أن حزب المتعاونين كان على صواب ، فلم يكن هناك أمل أو احتمال للتوفيق بين الاستقلال القومي والاتحاد القومي . وغنى عن الذكر أن فيليب لم يعتبر نفسه غازيا . بل حاميا للاتحاد الإغريقي والثقافة اليونانية من الفوضى والانحيار .

وفي معارك كثيرة ، كانت آخرها معركة خيرونيا (في بيوشيا) سنة ٣٣٨ ، دحر فيليب خصومه بفضل جيوشه المدربة تدريبا حسنا . وكانت آخر مؤلفات أيسوقراط رسالته التي هنا فيها فيليب بانتصاره في تلك الموقعة ، وهو انتصار حظى هو بنصيب فيه ، لأنه كان بمثابة انتصار له على ديموستين . وتوفى أيسوقراط بعد ذلك بأيام قلائل ، قرير العين ، بالغاً من العمر حوالى مائة سنة . وكان ديموستين قد اشترك في معركة خيرونيا ، وعاش بعدها ستة عشر عاما ، لقي فيها من صروف الدهر ألوانا . ثم التجأ آخر الأمر إلى معهد بوسيدون بجزيرة كالوريا (في الخليج الساروني قبالة ساحل أرجوليس) حيث انتحر في سنة ٣٢٢ . ولنعد إلى خيرونيا في سنة ٣٣٨ . إن السلم التي أعقبتها أفضت إلى قيام الحلف الهليني الذي اشتركت فيه جميع الدويلات الإغريقية (ما عدا إسبرطة) . وكان فيليب زعيمه وحامي ذماره . ولم يلبث فيليب طويلا حتى بدأ عملياته الحربية

في آسيا الصغرى لتحرير المستعمرات الإغريقية من ربة الحكم الفارسي . لكن هذه العمليات توقفت باغتياله في سنة ٣٣٦ ، وهو في السابعة والأربعين . بعد حكم استمر أربعة وعشرين عاما . وخلفه ابنه ، الإسكندر الثالث ، وهو المعروف بالإسكندر الأكبر . وكان فيليب هو منشيء قوة مقدونيا . والرجل الذي مهد للإسكندر القيام بمخاطراته وإحراز انتصاراته . وكان فيه كثير من صفات الإسكندر (مثال ذلك شغفه بالعلم والأدب) ، غير أن هذه الصفات طغى عليها انغماسه في الشهوات ، وتجرده من الضمير ، وكان مصرعه فيما يرجح نتيجة للفساد الذي أحاط به (٥) .

وكانت خيرونيا هي خاتمة استقلال بلاد الإغريق ، ومن ثم فطابع هذه الفترة ، وهي عصر أرسطو . هو تدهور بلاد الإغريق وانهارها السياسي ، وفيها نشهد احتضار الأمة العظيمة التي يدين لها العالم بالمثل الديمقراطية . وهي من أنفس مقتنياتنا ، والتي لقيت حتفها . وهي تجاهد في سبيل تحقيقها . بيد أن الروح الهلينية روح خالدة ، فقد ابتكرت آثاراً رائعة حتى بعد ضياع حريتها .

حياة أرسطو :

خالكيديكي أشبه بجزيرة في شمال البحر الإيحي منها بجزء من مقدونيا ، فخطوط مواصلاتها الرئيسية بحرية ، كشأنها في الجزر الأخرى ، وقد استعمر شبه الجزيرة منذ القدم مهاجرون إغريق وفدوا من خالكيس (٦) (ومن هنا جاءت التسمية خالكيدكي) . واصطبغت حضارتها الإغريقية الأولى بالصبغة الأيونية ، ونشأت علاقاتها ، أول ما نشأت ، مع المستعمرات الأيونية الأخرى في بحر إيجه وساحل آسيا الصغرى . واشتركت خالكيدكي في شتى الأحلاف التي تألفت للدفاع المشترك . وكانت فارس ومقدونيا هما ألد أعدائها . ولما كانت متاخمة لمقدونيا بل جزءاً طبيعياً من أراضيها ، فلم يكن هناك مناص من أن تثير أطماعها . قصارى القول أن فيليب غزاها آخر الأمر وضمها إلى ملكه . وأحل المحاربين القدماء المقدونيين مكان المستعمرين الإغريق .

في هذه المنطقة ولد أرسطو في سنة ٣٨٤ بمدينة أسطاغيرا ، وهي تقع في شمال الساق الكائنة في أقصى الشرق ، وهي شبه جزيرة جبل آثوس ، أو الجبل المقدس . وعندما ولد أرسطو كانت خالكيديكى ، أو على الأقل المنطقة الواقعة في أقصى الشرق ، لا تزال مستقلة وأيونية الثقافة . وعلى أى حال ، فقد ظلت الثقافة العليا أيونية حتى بعد الغزو المقدونى . من الجائز إذن أن نسمى أرسطو بالفيلسوف الأيونى ، وإن كان من الصواب أيضا ، كما سنرى ، أن نلقبه بالفيلسوف المقدونى .

ولا نعرف عن أمه شيئا سوى اسمها ، فايتس . وكان أبوه نيقوماخوس من أسرة طبية ، وكان طبيبا لأمينتاس الثانى ، ملك مقدونيا (٣٩٣ - ٣٧٠) . ثم رحل من اسطاغيرا إلى عاصمة مقدونيا في ذلك الوقت (ولم تكن بللا قد صارت بعد عاصمة) . تلقى الصبى أرسطو تعليمه إذن في مقدونيا ، ولا بد أنه ألم بطرف من حياة القصور . وتأثر في شرح شبابه بثلاثة ألوان من الثقافة : الأيونية ، والمقدونية ، والطبية . وكانت الأولى والثالثة خير ثقافتين يتزود بهما من يعد نفسه لأن يكون عالما .

وفي سن السابعة عشرة أوفده أبوه إلى أثينا ليتم تعليمه (وكان هذا تصرفا طبيعياً يروق محبى الإغريق بمقدونيا والأيونيين بخالكيديكى) . وقضى أرسطو العشرين عاماً التالية في أثينا (٣٦٧ - ٣٤٧) . وكثيراً ما يقال في ذلك إن أرسطو التحق بالأكاديمية في سنة ٣٦٧ وتلمذ لأفلاطون عشرين عاماً أى إلى وفاة أفلاطون . ولكن هذا خطأ بالتأكيد ، فقد تتلمذ أرسطو لأفلاطون في مستهل إقامته في أثينا ، وأعجب أفلاطون بنضجه المبكر ، ونشاطه الوثاب ، ولقبه بالقارئ أو العقل (anagnostes, nus) . ومن المرجح إزاء ما نعرفه عن رغبته في التحصيل أنه اختلف إلى أساتذة آخرين مثل إيسوقراط ، وشارك الأثينيين قطعاً في دروس البلاغة والسياسة التى ألقيت في السوق العامة أو في الأريوباجوس ، واستمع بلا ريب إلى بعض خطب ديموستين^(٧) . ومن المستبعد أن رجلاً مبتكراً متقد النشاط كأرسطو يبتى متلمذاً لأفلاطون عشرين عاماً . وإنما التحق أرسطو بالأكاديمية واختلف إليها الفينة بعد الفينة . وكان أرسطو ، كما يتبين من الشذرات

الباقية من مؤلفاته المفقودة، أفلاطوني المذهب، حتى وفاة أفلاطون على أقل تقدير، مع تحفظات تزايدت باطراد. وقد وافقت عضويته الشطر الثاني من حياة الأكاديمية وكانت قد تخلت عن خصائصها السقراطية وتشتعت بالمذهب الأفلاطوني، أى أصبحت غير سقراطية. وأحيانا حدثت مشاحنات بين الأستاذ الشيخ وتلميذه النابه. وينبغي ألا ننسى أن فارق السن بينهما كان أربعة وأربعين عاما، وهو فارق كبير جداً، فلم يسبقه أفلاطون بجيل واحد بل بجيلين. وانسحب أرسطو من الأكاديمية، وفقاً لرواية ديوجينيس اللايرسي^(٨)، وأفلاطون لا يزال على قيد الحياة، ومن ثم نشأت العبارة التي تنسب إلى أفلاطون حيث يقول: «إن أرسطو يزدريني مثلما يرفس المهر أمه التي ولدته». ونحن لا نستبعد صحة العبارة ولا الظرف الذي قيلت فيه^(٩). ومن المستحيل طبعاً أن نعرف متى تخلى أرسطو عن الأفلاطونية حتى لو كانت مؤلفاته كلها بين أيدينا، وكانت مؤرخة، فالحدود التي تفصل بين الأفلاطونية وغير الأفلاطونية ليست واضحة وضوحاً كافياً.

ويتلخص رأى في الآتى: قضى أرسطو عشرين سنة في الدراسة بأثينا، وكان في السنوات الأولى طالباً منتظماً بالأكاديمية، ثم أصبح فيما بعد طالب دراسات عليا، أو خريجاً، وصديقاً لأستاذه وغيره من أعضاء الأكاديمية. كانت الأكاديمية المركز الرئيسى الذى يلتقى فيه أستاذه القديم وطائفة من رجال على شاكلته ويستطيع أن يناقشهم فى المسائل الفلسفية والعلمية. ولم تقتض العضوية فى الأكاديمية (كما هو الآن) إجراء رسمياً، بل كانت أمراً لا كلفة فيه، فكان أى طالب قديم، نابه الذكر كأرسطو، يقابل بالترحاب دائماً. وبعد موت أفلاطون اختير اسبيوسيس، ابن أخته، رئيساً للمدرسة (scholarches) فأدارها ثمانى سنوات (٣٤٧/٣٤٧ - ٣٣٩). فهل أغضب هذا الاختيار بقية أعضاء الأكاديمية. ومهما يكن من شىء، فقد قرر أرسطو هو وصديقه كسنوكراتيس أن يتركاها، واستجابا لدعوة زميلهما فى الدراسة، هرمياس، حاكم أتانريوس.

وينبغى أن نسرد هنا قصة هرمياس لأنها توضح ما اتسمت به حياة ذلك

العصر من تنوع ، وتعقيد . وعدم استقرار . كان الحصى هرمياس ، وكان في بدء حياته صرّافاً . خبيراً بالشئون المالية فجمع ثروة طائلة ، وحظى بنفوذ واسع ، واقتنى أملاكاً شاسعة في إقليم طروادة (شمال غرب ميسيا) ، وعرف بطاغية أثنارنيوس (في مواجهة لسبوس) . وإلى هنا فليس في قصته شيء خارج عن المألوف ، فثباتها تحدث في كل مكان . ولكن سيرته التالية أكثر دلالة على العصر الذي عاش فيه . كان هرمياس طالباً في الأكاديمية (هل يتفق هذا مع السمسة ؟ ولم لا ؟ فكثير من رجال المال متخرجون في هارفارد) . وظل من أشد المعجبين بأفلاطون . ومن المحتمل أنه سأله النصيحة والمعونة في تصريف شئون حكومته . أو لم يكن أفلاطون أكبر حجة في السياسة ؟ وكان من بين أعوان هرمياس زميلان من خريجي الأكاديمية ، وهما إراسطوس وكورسكوس . وأصلهما من سكبسيس (إحدى مدن إقليم طروادة) . وقد سعوا لإقامة حكومة أفضل تحت إشراف أفلاطون^(١٠) . وأنشأوا بالفعل مدرسة جديدة (ولنسمها فرعاً من فروع الأكاديمية) في أسوس^(١١) . وبعد اختيار أسيبوسوس رئيساً الأكاديمية . التحق أرسطو وكسنوكراتيس بمدرسة أسوس . ولحق بهما فيما بعد كاليستينيس وثيوفراستوس . وقضى أرسطو في أسوس ثلاث سنوات (٣٤٧ - ٣٤٤) فيها اتصل الود بينه وبين هرمياس وتزوج من بيثياس ، وهي ابنة أخ هرمياس أو ابنة أخته ، كان هرمياس قد تبنّاها . ويحتمل أن أرسطو هو الذي توسط في المفاوضات التي دارت بين هرمياس وفيليب لعقد محالفة مع مقدونيا . ولما كانت ميسيا داخلة في نطاق السيادة الفارسية ، فقد اعتبر الفرس مفاوضات هرمياس مسلماً ينطوي على الحياة . ودعا منتور ، وهو قائد رودسي مرتزق في خدمة الفرس ، دعا هرمياس إلى اجتماع ثم قبض عليه وسلمه للملك الأكبر . واستجوبه الفرس ونكلوا به ليعترف بحقيقة صلته بفيليب ، ولكنه لاذ بالصمت ، كما تكهن ديموستين . ولم يبع بالسر أو بأسماء شركائه لأرتخشارشا ملك الفرس (٣٥٩ - ٣٣٨) . وقد تأثر الملك بشهامة هرمياس ، وأراد أن يمهله ويكسب صداقته ، ولكن مستشاريه نصحوه بعدم التسامح . وعندئذ سأل

هرمياس عن مطلبه الأخير فأجابه « أود أن يعلم أصدقائي أنني لم آت شيئا أحجل منه ، أو غير لائق بمقام الفلسفة » . وصلب هرمياس في سوسا في سنة ٣٤٤ . وأقام أرسطو أثراً في دلفي تخليداً لذكرى صديقه الذي مات ميتة الأبطال ، ونظم فيه أربعة أبيات ، كما ألف قصيدة طويلة تمجيداً له ، وهي نشيد للفضيلة ، أو نشيد إبتهاج أى ترتيل ديني ، القصد منه عبادة هرمياس . ولا تزال القصيدة (وهي من ١٦ بيتا) والنقش موجودين وهما يعطينانا فكرة لا بأس بها عن أرسطو الشاعر . وكان أرسطو يتردد أحيانا أثناء إقامته بأسوس ، على ميتيليني (في لسبوس) وهي قريبة ، وهي مسقط رأس صديقه الجديد ، ثيوفراسطوس . وأفاد أرسطو من هذه السنوات الثلاث في أسوس كل الإفادة ، إذ استطاع خلالها أن يقوم بمشاهدات كثيرة (في علم الحيوان مثلا) ، وأن يضع فلسفته الخاصة . لقد وجد أرسطو في أسوس المكان الملائم له .

واحتاج فيليب إلى معلم لابنه الإسكندر . ومن الجائز أن هرمياس زكى أرسطو لدى الملك . وعلى أى حال فقد عرف فيليب مواهبه وسيطا في المفاوضات ورئيسا لمدرسة أسوس . وقبل أرسطو العرض الملكي ، وتوجه إلى بللا ، مقر حكومة فيليب . واستمر أرسطو يثقف الإسكندر من ٣٤٣ إلى ٣٤٠ ، عندما اضطر (وكانت سنة لا تزيد على ستة عشر عاما) إلى أن ينوب عن أبيه (أثناء غيابه في الحملات الحربية) في حكم المملكة . ولسنا نعرف على وجه التحديد أين عاش أرسطو من ٣٤٠ إلى ٣٣٥ ، سوى أنه كان يقيم في الأراضي المقدونية . ولعله ظل مقبياً في بللا ضيفاً مكرماً ، أو لعله عاد إلى إسطاغيرا . وعلى أى حال فقد أتاحت له فرص طيبة لصياغة أفكاره الجديدة . وقد حمله اضطراره بالتعليم على أن يصوغ علمه وفلسفته في عبارات واضحة سهلة جداً . وعندما كانت ظروف الأمير لا تسمح له بالاختلاف إلى دروس إضافية ، كان معلمه يجد متسعاً من الوقت للتأمل العميق .

ولما خلف الأمير أباه ، بقى أرسطو إلى جانبه مستشاراً له وصديقا ، واستمر كذلك إلى أن زج بكالستينس في السجن وأعدم . وبعد ارتقاء الإسكندر العرش

مباشرة ، وأثناء إخماده الثورات الناشبة في البلقان وبلاد الإغريق ، عاد أرسطو إلى أثينا لتحقيق هدفه الأكبر . ألا وهو إنشاء مدرسة جديدة ومركز للبحث ، وهو اللوقيون (٣٣٥) .

وعندما خبا نجم الإسكندر في ٣٢٣ بعد تألقه فترة قصيرة بهر فيها الأبصار ، استأنفت الأحزاب المناوئة لمقدونيا نشاطها المعادي . وتعرضت حياة أرسطو للخطر من جراء رعاية الملك للوقيون ، وتذكر خصومه أنه كتب نشيداً يمجّد فيه هرمياس ، فاتهموه بالإلحاد . ولم يشأ أرسطو أن تعود أثينا إلى ارتكاب الجريمة التي لا تغتفر يوم أن قضت على سقراط بالموت ، فأثر أن يلتجئ إلى خالكيس (وهي قاعدة خالكيديكى ، مسقط رأسه) . وهناك قضى نحبّه بعد مرض لم يمّله إلا بضعة أشهر في ٣٢٢ (وهي نفس السنة التي انتحر فيها ديموستين) .

تزوج أرسطو مرتين ، وكانت زوجته الأولى هي بيثياس ، وأصلها من أسوس ، ومنها أنجب ابنة سميت باسم أمها . وأنجبت له هربولليس ، زوجته الثانية ، ابنا ، سمى باسم حميها ، نيقوماخوس . وقد خلد أرسطو ذكره بأن أهلاه كتابه في الأخلاق (وهو المبحث الأخلاق الوحيد الذي لا يشك في نسبه إلى أرسطو) .

ويقول ديوجينيس اللائرسى : كان أرسطو أثلغ ، نحيل الساقين ، ضيق العينين ، يلفت النظر بزيه ، وخاتميه ، وقصة شعره^(١٢) . وعلينا أن نقنع بهذه الأوصاف الطفيفة ، إذ لم يصل إلينا أى تمثال له . إن فرانز ستودنيشكا ، فقيه اللغة النمساوى ، يذهب إلى أن الرأس الرخامى المودع بمتحف الفن التاريخى في فينا هو صورة حقيقية لأرسطو ، إلا أن حجته غير مقنعة ولا قيمة لها^(١٣) ، فهو يقول إن هذا الرأس الموجود في فينا يوحى بشبه بملائختون وهلمهولتز ، ولكن ذلك نفسه لا ينهض دليلاً على أنه يمثل أرسطو !

وما نعرفه عن حياة أرسطو الروحية أكثر مما نعرفه عن مظهره الخارجى ، بفضل مؤلفاته الغزيرة ووصيته التي نشرها ديوجينيس اللائرسى^(١٤) . ويتبين من هذه الوصية أن أرسطو كان رب أسرة حسن العشرة ، كريماً مع زوجته ، شديد العناية بأبنائه وخدمه . فهي وثيقة تفيض بالمعاني الإنسانية الرفيعة .

مؤلفات أرسطو الضائعة . مؤلفاته الأفلاطونية الأولى :

يمكننا أن نقسم مؤلفات أرسطو إلى ثلاثة أقسام :

- (١) الأولى وهي التي ألفها في فترة عضويته بالأكاديمية^(١٥) .
- (٢) مصنفاً علمية كتبها أيام اللوقيون على الأرجح . (٣) طائفة من البحوث أعدها في السنوات التي اشتغل خلالها بالتعليم في أسوس وبللا ، وأثينا .
- وجميع المؤلفات التي وصلت إلينا كاملة هي من القسم الثالث ، ما عدا مؤلفاً واحداً من القسم الثاني ، وهو « الدستور الأثيني » .

لدينا مؤلفات القسم الأول – وإن كانت قد ضاعت – شذرات كافية ومقتبسات واردة في الكتب القديمة تشف عن قيمة محتوياتها^(١٦) . والواقع أن هذه المؤلفات لم تضع بسرعة ، بل ظل الجانب الأكبر من شهرة أرسطو قائماً عليها عدة أجيال . ولم تكتب هذه المؤلفات الأولى الخاصة بالتلاميذ^(١٧) ، بل للجمهور المثقف . وهي مكتوبة في شكل محاورات ، وهو الشكل الأثير لدى أفلاطون ، وتتمثل فيها بوجه عام تعاليم الأكاديمية تمثلاً صادقاً . وتمت بعض هذه المؤلفات بالصلة إلى محاورات أفلاطونية بعينها لا إلى فلسفة أفلاطون بوجه عام فحسب ، بل إلى محاورات أفلاطونية ، فحاوره يوديموس ، مثلاً ، مأخوذة عن فيدون وجريلاوس عن جورجياس ، وكتبه في « العدالة » مستقاة من « الجمهورية » ، والبروتربتكوس من يوثيديموس .

ولنبحث الآن في ثلاثة منها وهي يوديموس و بروتربتكوس والفلسفة .

فاليوديموس محاوره عن خلود الروح ، سميت كذلك نسبة إلى يوديموس القبرصي^(١٨) ، صديق أرسطو ، الذي قتل في سنة ٣٥٤ . وعندما نرثي صديقاً نحبه ، لا نملك إلا أن نتساءل إن كان فناء الجسد معناه الفناء الأبدي . ويأخذ أرسطو بنظرية أفلاطون القائلة بأن روح الإنسان تهبط من السماء ثم تصعد إليها ثانية عندما تتحرر من إفساد البدن . وأما البروتربتكوس^(١٩) (الحض) ، فهي

رسالة (لا حوار) موجهة إلى ثيميسون ، أحد أمراء قبرص ، يحثه فيها على دراسة الفلسفة والنظر إلى الحياة بعين فلسفية . فجميع ما في الحياة من نقص يستكمل في عالم غير المحسوس . وما الموت سوى فرار إلى حياة أسمى . وكون الروح سجيئة البدن هو مصدر جميع متاعبنا وآلامنا . فواجب الفيلسوف أن يتخلص بقدر الإمكان من المشكلات الدنيوية ، فهي تعرقل عودته إلى الله . وهناك أوجه شبه كثيرة بين البروتر بتكوس والأبينومييس ، مما يدل على أن مؤلفيهما نهلا من معين أفلاطوني واحد ، أو أن أحدهما نقل عن الآخر ^(٢٠) . وتثير البروتر بتكوس بالذات اهتمامنا نظراً لما أصابته من شهرة واسعة . فقد ترجمها شيشرون إلى اللاتينية ترجمة مضمون بعنوان هورتنسيوس ^(٢١) ، تأثر بها يامبليخوس (النصف الأول من القرن الرابع) وجولييان المرتد (النصف الثاني من القرن الرابع) . وأثرت أعمق الأثر في نفس القديس أوغسطين (النصف الأول من القرن الخامس) ، وقد قرأها وهو في سن التاسعة عشرة ، فكانت دون غيرها هي التي أثارت فيه الحنين إلى دراسة الفلسفة ^(٢٢) . أو ليس من حظ أرسطو الفريد أن تكون مؤلفات شبابه هي مصدر إلهام القديس أوغسطين ؟ وجدير بالملاحظة ما بينهما من فارق في الزمن ، لا يقل عن ثمانية قرون ، واختلافهما الشديد في الاتجاه ، فقد اتجه أرسطو نحو العلم ، وأوغسطين نحو المسيح .

وأضحى مؤلفات أرسطو التي لم تصلنا ، كما يتبين من الشذرات الباقية ، هو مبحثه في « الفلسفة » ، وهو يقع في ثلاثة كتب . ويشرح أرسطو في الكتاب الأول نظريته عن أزلية المذاهب ^(٢٣) ، بادئاً بآراء الحكماء السبعة وما ورد في نقوش دلتى القديمة (مثال ذلك ، « اعرف نفسك ») . وفي الكتاب الثاني ينتقد أرسطو نظرية المثل الأفلاطونية . وفي الكتاب الثالث يلخص نظريته عن ألوهية الكواكب . وفي الكتاب الأخير يذهب أرسطو إلى أن للنفس حركة تلقائية أزلية ^(٢٤) ، كالأجرام السماوية التي لكل منها إرادته الخاصة . وهكذا يستمر في الانحراف الغريب الذي هو في محاورتي « تهاوس » و أبينومييس حيث يُتخذ من دوران الأجرام السماوية المنتظم دليلاً على أنها عقول إلهية . ويبدو أن أرسطو

خطرت له، أثناء كتابة هذا الحوار، فكرة أن الجوهر الخامس للسماء (أو الأثير) هو المادة التي تتركب منها النفس^(٢٥). ولكنني أجد أن من العسير على أن أفهم ذلك، إذ كيف يسوّى أرسطو بين الكواكب بعد أن نسب إليها صفة الألوهية لانتظام دورانها، وبين النفوس البشرية، التي لا يستطيع أحد أن يتكهن بحركاتها؟ لعله تنكب طريق الصواب، متأثراً بفكرة الآلهة التي نسبها إلى الكواكب والنفوس سواء بسواء. وتشبه فلسفته الكونية في هذا المبحث الفلسفة في التماوس، مع فارق هام: فالألوهية ليست كما فهمها أفلاطون متعالية على الكون، بل هي ملموسة في الأجرام السماوية. فليس المصدر الأعظم للحكمة هو التأمل في الصور المجردة، بل التأمل في حركات النجوم والكواكب.

وقد استمد أرسطو إيمانه بوجود الله من مصدرين: مقدرة النفس على التنبؤ (كما تظهر في الأحلام)، ومنظر السماوات المرصعة بالنجوم^(٢٦). ولا ريب في أن تأييد أرسطو لمذهب ألوهية الكواكب ساهم مساهمة قوية في رواجه في العصر الهلنستي: وقد لخص بيجر ذلك تلخيصاً موفقاً رائعاً بقوله:

« إن قيام عبادة الكواكب التي لاتحدها أرض أو أمة بل تسطع على جميع شعوب الأرض، وعبادة الإله المتعالى المتريع فوقها على عرشه، هو فاتحة عصر العالمية في الدين والفلسفة. وعلى صهوة هذه الموجة الأخيرة تدفقت الثقافة الآنيكية في بحر الأمم الهلنسية^(٢٧).

فلسفة أرسطو الأولى هذه مستقلة عن فلسفة أفلاطون وإن لم تستقل عنها كثيراً. فلا يزال جوهر فلسفته الميتافيزيقية أفلاطونياً (فيما عدا إنكاره لمذهب أفلاطون في المثال)، ومتأثراً بأفكار كلدانية وإيرانية كانت رائجة بين جدران الأكاديمية. وليس في ذلك ما يدعو إلى الدهشة، إذ كان تدرسه في أسوس وبللا قد وجه تفكيره وجهة جديدة، فشرع ينظم معلوماته في المنطق والرياضة والفلك والتاريخ الطبيعي، وسلم مؤقتاً بفلسفة أفلاطون الميتافيزيقية على علامتها. وموقفه في ذلك شديد الشبه بالعالم الحديث الذي يقوم ببحوثه دون أن يحاول استقصاء المعتقدات والعادات الدينية التي هي جزء جوهرى من تقاليد أسرته.

والواقع أن تأليف هذه الكتب الأولى أقل إثارة للدهشة . فكونها مختلفة اختلافاً جوهرياً عن تلك التي ألفها في سني نضجه أمر لا يحتاج إلى تفسير . كان أرسطو رجلاً ذا عبقرية خارقة ، بيد أن العبقرية نفسها يلزمها أن تنمو ، ومن العبث أن نتوقع نضجها قبل الأوان . فغالبا ما يبلغ الأطفال النوابع في وقت مبكر جداً مستوى معيناً من النضج ، وبعدئذ يعجزون عن الارتفاع كثيراً عن هذا المستوى . ولكن الرجل ذا العبقرية الحقة أبطأ في نموه من سائر الناس . فكثير من العلماء استهلوا حياتهم بمؤلفات أدبية أو فلسفية أنكروها فيما بعد أو أغفلوها فطوتها يد النسيان^(٢٨) . وذلك أمر طبيعي ، وأشبه به ما حدث لرجل ظل متأثراً بنظريات الأكاديمية السخيفة عشرين عاماً . وقد تخلص أرسطو من شعوذة التيامبوس برغبته في طلب العلم ، وتنمية ملكة البحث الدقيق ، وبمارسته التدريس في أسوس وبللا ، وعلى الأخص ، بمذهبه العقلي واستقلاله الفكري . فإذا راعينا شتى الظروف نجد أن حياة أرسطو تطورت تطوراً عادياً ، لا شذوذ فيه ، وقد تخلص عقله من الأوهام الأفلاطونية بقدر نمو معارفه العلمية .

وما كنا لنحفل كثيراً بمؤلفاته الأولى لولا الأهمية التي أضفيت عليها خلال ثلاثة قرون أو أربعة ، واختفاؤها الغامض بعد ذلك . وكأن أرسطو ظل معروفاً عدة قرون ثم حل مكانه فجأة أرسطو آخر ، مختلف عنه كل الاختلاف . وما يثير حيرتي هو احتجاب أرسطو القديم . فلا بد إزاء ما أحرزته مؤلفاته من شهرة أنه كانت هناك نسخ كثيرة من كل كتاب منها ، فكيف اختفت كلها حتى إنه ليس لدينا نص كامل لواحد منها ؟ ذلك يوضح مرة أخرى ما يحف طريق انتقال المخطوطات من خطر . ولكن لماذا كان هذا الخطر في حالة مؤلفات أرسطو الراجحة منه أشد في حالة مؤلفات أرشميدس الفنية ؟ ليس في وسعنا الإجابة عن هذا السؤال ، فحفظ المخطوطات أمر مخوف بالخطر مرهون بالظروف .

أرسطو الحىّ . مؤلفاته الباقية :

قد ينساق مؤرخ العلوم إلى القول بأن مؤلفات أرسطو الأفلاطونية قد ضاعت لأن مؤلفاته الأخيرة زحزحتها ثم محتها . ولئن قال ذلك فإنما يضرب مثلاً سيئاً على حب الذات . فينبغى ألا ننسى أن الأوهام الأفلاطونية كانت لعدة قرون (ولا تزال حتى اليوم) أحب إلى جمهور الناس من الحقائق العلمية البحتة . إن اختفاء مؤلفات أرسطو الأولى نهائياً أمر يكتنفه الغموض الشديد ، وضباع مؤلفاته الأخيرة واكتشافها من جديد أشبه بالقصة الخيالية .

وإليك ما حدث . بعد موت أرسطو آلت أوراقه إلى صديقه وخلفه ثيوفراسطوس ، فأوصى هذا بها لا لخلفه في اللوقيون ، كما كنا نتوقع ، بل لابن أخته نيلبوس ، أحد مواطنى سكبسيس^(٢٩) . ويبدو أن نيلبوس لم يهتم بهذه المؤلفات ، ثم إن ورثته باعوا بعضها لبطلميوموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٧) ، وكان ينشئ مكتبة الإسكندرية . وأخى الورثة سائر المخطوطات في كهف مخافة أن تقع في يد ملكهم أتالوس البرغامى (٢٦٩ - ١٩٧) وكان هو أيضاً قد شرع في بناء مكتبة برغامة ، لينافس بها مكتبة الإسكندرية . وبعد مضي فترة من الزمن ، سمع أبليكون التيوسى ، أثناء مروره ببلدة سكبسيس ، عن ذلك الكنز فاقتناه لمكتبته الخاصة في أثينا . وكان أبليكون هذا من المشائين وأحد جامعى الكتب الأثرياء ، ولا نعرف عنه سوى أنه مات قبيل حصار سلا لأثينا ونهبه إياها (٨٤ ق . م .) . واشترى سلا مخطوطات أرسطو ، أو اغتصبها ، وحملها معه إلى روما . وحدث بعد ذلك بقليل أن وقع لغوى إغريقى كنيته تيرانيون ، أسيراً في يد لوكلولوس ، فأحضره معه إلى روما حيث عهد إليه ترتيب كتب أبليكون . وكان تيرانيون عالماً قديراً ، امتدحه كل من شيشرون واسطرابون ، وإن اقتصر جهده فيما يبدو على عمل قائمة بمخطوطات أرسطو أو كتابة وصف لها . ولئن كان قد شرع في نشرها ، فإن عمله ذلك لم يتم على يديه . وقد اضطلع أندرونيكومس الرودى (النصف الأول من القرن الأول ق . م .) بنشرها لأول مرة حوالى ذلك

الوقت . ولنسخته هذه أهمية جوهرية ، فجميع النسخ الأخرى مأخوذة عنها مباشرة أو غير مباشرة . ولا ينبغي أن نستخلص من ذلك أن مؤلفات أرسطو ظلت مجهولة إلى أن نشرها أندرونيكوس حوالي ٧٠ ق . م . فلا بد أنها كانت متداولة شفاهاً وكتابة في اللوقيون . وأعتقد أن النسخة التي نشرها أندرونيكوس هي أول نسخة وصلت إلى الأجانب .

هذه القصة تمدنا بمعلومات طريفة تكشف عن سير التقدم الثقافي في العصر الهلنستي ، كنشأة المكتبات في الإسكندرية وبرغام وأثينا وروما . والمؤلفات التي نشرها أندرونيكوس هي هي - على الأرجح - المؤلفات التي لدينا اليوم . ونكتفي الآن بإيراد قائمة موجزة بها ، مع قليل من الملاحظات . وستتناول بعضها بالشرح المفصل فيما بعد . ونحن نوردها هنا بالترتيب الذي ألفه الناس كافة ، وكما هو الوارد ، على سبيل المثال ، في طبعة بكر Bekker (١٨٣١) ، وفي الطبعة الإنجليزية لأرسطو^(٣٠) .

المجلد الأول (ص ١-١٨٤) . الأورجانون Organon وفيه : المقولات . العبارة . التحليلات الأولى . التحليلات الثانية . الجدل تفنيد السفسطة .
المجلد الثاني (ص ١٨٤-٣٣٨) : الطبيعة .. السماء . الكون والفساد .
المجلد الثالث (ص ٣٣٨-٤٨٦) : الآثار العلوية . النفس . الطبيعيات الصغرى^(٣١) . العالم . الهواء .

المجلد الرابع : (ص ٤٨٦-٦٣٣) : تاريخ الحيوان .
المجلد الخامس (ص ٦٣٩-٧٨٩) : أعضاء الحيوان ، حركته ، مشيه ، وتكوينه .

المجلد السادس (ص ٧٩١-٨٥٨) : اللون . السمعيات . الملامح . النبات . السماع غير الطبيعي . الآليات . الحيوط غير المنقطعة . مواقع الرياح . وأسمائها . ميلوس . كسينوفون . جورجياس .

المجلد السابع (ص ٨٥٩-٩٦٧) : العضلات .
المجلد الثامن (ص ٩٨٠-١٠٩٣) : الميتافيزيقا أو ما بعد الطبيعة .

المجلد التاسع (ص ١٠٩٤ - ١٢٥١) : الأخلاق إلى نيقوماخوس .
الأخلاق الكبرى . الأخلاق إلى يوديموس .

المجلد العاشر (ص ١٢٥٢ - ١٣٥٣) : السياسة . الاقتصاد . (ص ٦٩ - ١ ، طبعة أكاديمية برلين ، ١٩٠٣) . دستور الآثينيين .
المجلد الحادى عشر (ص ١٣٥٤ - ١٤٦٢) ؛ الخطابة . الخطابة إلى الإسكندر . الشعر .

وجميع هذه المؤلفات - باستثناء واحد - من القسم الثالث ، إذ أنها كتب مدرسية تحتوى على محاضرات ألقاها أرسطو أو غيره من الناس في اللوقيون . والاستثناء هو « دستور الآثينيين » (المجلد العاشر) ، وهو الكتاب الوحيد الذى يمثل القسم الثانى المحتوى على دراسات عامة أعدها اللوقيون . وكان أرسطو قد قام بدراسة مقارنة لـ ١٥٨ دستوراً إغريقيا ، أهمها على ما يرجح هو الدستور الآثينى ، ولم يصل إلينا سواه ، ويقع في جزئين رئيسيين (١) التاريخ الدستورى من أقدم العصور حتى أيام أرسطو ، وكل مرحلة من مراحلها يصفها المؤلف وصفاً لبقاً واضحاً ، (٢) وصف تحليلى للدستور الآثينى والحكومة الآثينية كما كانت حوالى سنة ٣٣٠ . ولانتقال هذا النص إلينا قصة غريبة . فحتى عام ١٧٩١ لم نكن نعرف عن دراسات أرسطو الدستورية سوى شذرات . لكن في ذلك العام وجدت في مصر بردية ، أودعت بالمتحف البريطانى ، ونشرها كنيون Kenyon ، وكانت تلك هى الطبعة الأولى للدستور الآثينى (٣٢) .

ومجموعة مؤلفات أرسطو موسوعة ضخمة فهى تشمل المنطق ، والميكانيكا ، والطبيعات ، والفلك ، والظواهر الجوية ، والنبات ، والحيوان ، والنفس ، والأخلاق ، والاقتصاد ، والسياسة ، والميتافيزيقا ، والأدب . . إلخ . وليس للرياضيات مبحث مطول ، ولكن توجد مناقشات كثيرة قيمة لموضوعات رياضية ، متناثرة في شتى الكتب .

هل هذه المؤلفات صحيحة ؟ إن السؤال أعقد مما يبدو لأول وهلة ، ولا يمكن إجابته برمته . وقد ناقش الناشر وصحة كل كتاب على حدة ، غير أنهم

لم يتفقوا دائماً في النتائج . وأما عن مشكلة النص الحرفي – أى الكتابة الفعلية لكل نص – فن المحتمل أن أرسطو لم يكتب هو نفسه من المؤلفات إلا قليلاً ، بل إننا لا نستطيع أن نقول إن كل المؤلفات تمثل تعليمه ، فبعضها قد يمثل تعليم ثيوفراستوس ، أو تعليم غيره من رجال اللوقيون . ولعل بعض النصوص التى لدينا تمثل آراء أرسطو وآراء غيره من المشائين ، وإذا كانت تمثل آراءه هو ، فليس يستتبع ذلك أنها تمثل كلماته نفسها ، اللهم إلا إذا كان طالب مجد قد كلف نفسه عناء تدوين كلام أستاذه حرفياً ، على الأقل فى النقط الجوهرية . وباستثناء قليل من المؤلفات المتفق على أنها منحولة ، يبدو أن الرأى مجمع على أن الكتب التى تحمل اسم أرسطو تتضمن لب محاضراته . وقد دونت المخطوطات الأصلية (كما نشرها أندرونيكوس) نقلاً عن مذكرات محاضراته (فى مراحل تطورها المختلفة) ، أو عن مذكرات كتبها المستمعون ، وراجعها (أو لم يراجعها) هو بنفسه . ومن الممكن تقليب هذا الرأى على وجوه لاحصرها . ولعل الأستاذ نفسه جمع جانباً من الأدلة المادية الخاصة ببعض الكتب ، لا سيما كتب علم الحيوان ، وجمع له مساعدوه وتلاميذه الجانب الآخر . ولئن ينقص ذلك من حقه مؤلفاً ، فليس المؤلف فى مثل هذه الأحوال هو وحده الذى يهتدى إلى الحقائق المنفرقة ، وإنما هو الذى يرتبها ويفسرهما .

والترتيب الزمنى لمؤلفات أرسطو أمر بعيد كل البعد ، فبعضها دون ، إن لم يكن قد ألف ، فى أسوس أو مقدونيا ، وبعضها كتب أصلاً فى اللوقيون . ومعظمها ثمرة تطور طويل ، وضعت أمهات مسائلها ، وكتبت ، على دفعات فيما يرجح . وأثبت الأستاذ بيجر أن هذا هو ما حدث فى حالة كتب الميتافيزيقا والأخلاق والسياسة . ويفهم ذلك بسهولة كل مؤلف ، وعلى الأخص كل معلم ذى خبرة طويلة . وفى وسع المرء أن يحدد تاريخ إتمام كتاب معين ، وأحياناً تاريخ بدايته ، غير أن من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، تحديد تواريخ فصوله المختلفة . فلو أن كتابين أحدهما تم تأليفه فى سنة ٢٠ ق . م . والثانى فى سنة ١٠ ق . م . وفى سنة ٢٠ ق . م . و ١٢ ق . م . فليس يستتبع ذلك أن الثانى كله أحدث من الأول ، بل قد يتضمن الأول إشارات إلى ما فى الثانى .

وكثير من الآراء التقليدية عن إنشاء أرسطو أو أسلوبه مشوبة بروح التعنت والخرافة كالآراء عن أفلاطون ، سواء بسواء ، فيما عدا أن الخرافات تطورت في اتجاهين متضادين . فقد أجمع المتحذلقون الذين أعجبوا بأسلوب أفلاطون (وغالباً بدون إلمام باللغة الإغريقية كاف لتذوقه) على أن كتابة أرسطو ركيكة ، وأن أرسطو لا أسلوب له ، إلخ . وهنا نتبين نوعاً من الوهم الذى يسيطر فى كثير من الأحيان على عقول النقاد من أهل الأدب عند ما يتصدون للحكم على المؤلفات العلمية . والفرق الجوهرى بين المؤلفات العلمية والمؤلفات الأدبية ينصب على ارتباط المعنى بالأسلوب . فرجل العلوم أكثر اهتماماً بالفكرة منه بطريقة التعبير عنها . ويكفيه أن يوفق فى شرح آرائه بوضوح ووصف ما حصل عليه من نتائج بدقة . وغالباً ما يقف جهده عند هذا الحد ، لأنه يضيق ذرعاً بالمحسنات اللفظية ، على حين أن الأديب يبذل قصارى جهده للتعبير عن أفكاره بأسلوب أكثر طلاوة ولباقة ورشاقة واتزاناً . وهناك نوع من الانعطاف الخفى بين ألفاظ الكتاب أو أسلوبه وبين مضمونه ، فى الكتب العلمية يخضع اللفظ للمعنى ، بينما العكس هو الأمر الطبيعى فى المؤلفات الأدبية . فما إن يحس الناقد أن مضمون كتاب من الكتب بالغ الأهمية ، وأن الأسلوب بسيط مقتضب ، حتى يبادر إلى الحكم بأن المؤلف لا يحسن الكتابة . وقد يكون لحكمه أحياناً ما يهرره ، لأن كثيراً من الكتب العلمية ركيكة الأسلوب ، ولكنه غالباً ما يكون خاطئاً غير منصف . ولعجزه عن تذوق جمال المعنى ونفوره من بساطة اللغة وجفافها ■ يقرر أن الكتاب لا أسلوب له ، وأنه ليس من الأدب فى شيء . لكن مؤلفات أرسطو كتب علمية ومضمونها أهم بكثير من أسلوبها . وهذا الأسلوب ينم أحياناً عن بعض الإهمال ، ولكنه يتضمن من حين لآخر عبارات رائعة تكشف عن عبقرية الأستاذ (وقد يعرف الأسد من مخلبه Ex ungue leonem) . إننى أعتقد أن أرسطو كان حريصاً على أن يجيد الكتابة بقدر ما فى وسعه ، لأنه كان يقول الشعر^(٣٣) ولم ينس قط الدروس التى تلقاها على يد أفلاطون . ولئن تكن بعض كتبه تم عن التقصير وعدم الاكتراث ، فليس ذلك بسبب إهماله

بل لأن الفرصة أعوزته لصقلها كما كان يجب أن يفعل .
 ولعل أحد الكتاب ذوى الأسلوب كان في وسعه أن يصقل أسلوب كثير
 من الكتب التي تحمل اسم أرسطو . لكن هل كان في وسعه أن يفعل ذلك
 إلا على حساب المعنى ، دون أن يسلبه قوته ، ويجرّفه تحريفاً يقلل من قيمته ؟
 فنحن جميعاً متفقون على أن الأسلوب والمعنى مرتبطان أحدهما بالآخر ارتباط
 الجسم بالروح ، بيد أن النقاد من أهل الأدب غالباً ما ينظرون إلى الأسلوب
 باعتباره هو الروح ، على حين أن روح الكتاب هي ما فيه من أفكار ، أي
 ما فيه من معنى . ومن المؤكد أن هذا الكلام يصدق على الكتب العلمية .
 وينبغي التنبيه إلى أن لغة مؤلفات أرسطو لم تكن اللغة الأتيكية في العصر
 الذهبي ، بل هي لغة اختلطت بها مصطلحات فنية وعبارات مختلفة الأصول .
 وقد يعتبر أرسطو أحد واضعي اللغة العامة الجديدة . ومصطلحاته العلمية مثيرة
 للإعجاب ، وإن لم تخل من الحشو ، ولكن ذلك كان أمراً لا مندوحة عنه
 في زمنه . والواقع أن استبعاد المصطلحات غير الضرورية ، واستحداث مصطلحات
 جديدة ، هو أحد مظاهر التقدم العلمي . وليس وجه الغرابة في أن كثيراً من
 المصطلحات عند أرسطو قد اندثرت ، بل في أن كثيراً جداً منها لا يزال
 مستعملاً في لغاتنا الحديثة .

الطبعات ، التراجم ، الفهارس :

ليس الغرض من هذا الكتاب استعراض أسماء الكتب ووصفها ، ومع هذا
 فمن الضروري أن نتكلم عن بعض الطبقات الأولى نظراً لأهميتها التاريخية ، وأن
 نلفت النظر إلى الطبقات الحديثة الأكثر صلاحية من غيرها للرجوع إليها .
 عن أقدم الطبقات التي صدرت قبل سنة ١٥٠٠ ، ومعظمها باللاتينية ،
 ومشفوعة أو غير مشفوعة بشروح ابن رشد ، انظر كليس ، رقم ٨٢ - ٩٧
 (شكل ٨٩) .

ومن أعظم الطبقات القديمة ، الطبعة الأصلية الإغريقية لمؤلفات أرسطو التي
 نشرها ألدوس مانوكيوس في البندقية (١٤٩٥ - ١٤٩٨) ، وهي في خمس

مجلدات من القطع الكبير (شكل ٩٠) . واحتدمت المنافسة بين طباعى بال وطباعى البندقية ، مما حدا بإرازموس ، وسيمون جرينايوس أن يعدّأ طبعة جديدة لجميع مؤلفات أرسطو (مجلدان من القطع الكبير ، بال سنة ١٥٣١ ، شكل رقم ٩١ ، ٩٢) . وقد نشر فردريك سيلبورج (١٥٣٦-١٥٩٦) النص اليونانى ثانية ، وطبع فى فرانكفورت (١١ مجلد ، ١٥٨٤-١٥٨٧) . وظهرت أول طبعة مشفوعة بالترجمة اللاتينية فى ليون فى ١٥٩٠ .

وأهم طبعة حديثة هى التى أعدها أمانويل بكر (١٧٨٥-١٨٧١) ، ونشرتها أكاديمية برلين مع الترجمة اللاتينية (٥ مجلدات من القطع الصغير ، برلين ١٨٣١-١٨٧٠) . وقد اتبع ترقيم بكر فى الطبقات التالية جميعها تقريبا . وأعيد طبع النص اليونانى ، نشره بكر فى أكسفورد^(٣٥) ، مع إضافة فهرس سيلبورج indices Sylburgiani (١١ مجلدا ، أكسفورد ، ١٨٣٧) . وأما طبعة ديدو اليونانية - اللاتينية فهى من وضع ف . دينر ، سى . ك . بوشماكر ، وإ . هيتز (٥ مجلدات ، باريس ، ١٨٤٨-١٨٧٤) . وقد وقف جول بارثيلمى سان هيلير (١٨٠٥-١٨٩٥) جانبا كبيرا من حياته على ترجمة مؤلفات أرسطو إلى الفرنسية (١٨٣٩ والسنوات التالية) . وهى جديرة بأن يستأنس بها كثيراً وإن كانت لا تسائر الوقت الحاضر . وقد ترجمت مؤلفات أرسطو إلى الإنجليزية تحت إشراف و . د . روس (١١ مجلد ، أكسفورد ، مطبعة كلارندون ، ١٩٠٨-١٩٣١) وقد أشرنا إلى محتويات تلك المجلدات آنفاً فى صفحة ١٦٢-١٦٣ .

وكثير من كتب أرسطو ميسور الحصول عليها باللغة اليونانية مع الترجمة الإنجليزية فى مجموعة لويب الكلاسيكية Loeb Classical Library ، مثال ذلك « أعضاء الحيوان وحركته وسيره » (١٩٣٧) مجلة Isis ، عدد ٢٩ ص ٢٠٥ (١٩٣٨) وعدد ٣٠ ، ص ٣٢٢ (١٩٣٩) . و « السماء » (١٩٣٩) مجلة Isis ، عدد ٣٢ ، ص ١٣٦ (١٩٤٧-١٩٤٩) ، و « تكوين الحيوان » (١٩٤٣) مجلة Isis ، عدد ٣٥ ، ص ١٨١ (١٩٤٤) .

• الطبقات الخمسة التي ذكرها في كتابه "الطبقات الخمسة" هي: الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة. وهذا الكتاب من الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

Commentaria in Aristotelem graeca (23 Vols., 1882 — 1909)
 Supplementum Aristotelicum (3 Vols., 1885 — 1903) .

وقد نشرت أبحاثه بترجمة سلسلة ضخمة من الشروح :

(Isis 40, 357 (1949) .

(183 pp.; Princeton: Princeton University Press, 1949)

Troy Wilson Organ, Index to Aristotle in English translation

• الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

• الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة. وهذا هو الكتاب من الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

Indux Aristotelicus بوليفر (1870) . وهذا هو الكتاب من الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

• الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة. وهذا هو الكتاب من الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

(Isis 106 (1900) . والطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

Aristotelis et Averrois

Marco Antonio Zimara, Tabuladilucidationum in dictis : الطبقات الخمسة

• الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة. وهذا هو الكتاب من الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.

• الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة. وهذا هو الكتاب من الطبقات الخمسة الأولى، الطبقات الخمسة الثانية، الطبقات الخمسة الثالثة، الطبقات الخمسة الرابعة، والطبقات الخمسة الخامسة.



Dignus honorabilis notitiam opinante. Magis autem alteras alteras aut secundas certitudines aut ex eo quod meliorum quidem et mirabiliorum est: propter utraque haec anime histotias rationabiliter utique in primis ponemus.

Quoniam de rebus honorabilibus est scire de rebus aliquid que differunt ab invidiam aut in sublimitate: aut quia sunt scire pro dignitate et nobilitate: certum est propter haec duo ponere narrationem de anima post rationem precedentem.

Interdu per subtilitatem confirmati omnia demonstrantur. et ostendit per hoc quod dicitur aut quia sunt cognite per non nobilitatem et nobilitatem subiecti a non certum non differunt ab invicem: nisi aliter rationem duorum nobilitatem. et aut confirmantur demonstratione: aut nobilitate subiecti: aut utroque. **Id.** Et quoniam geometria certum astronomia per confirmationem deorum firmitatem astronomia autem excedit illa nobilitate subiecti et dicitur necessitas est propter haec duo. et certum. et dicitur necessitas est quia haec duo habentur in scientia de anima: ut procedat semper de ea. haec autem scientia. et manifestum est considerantibus quoniam subiecti hanc scientiam est nobilitate alio et firmiter demonstratio eius est magna firma. Et utroque semel in ista: ostendit hanc ad amorem scientiam. et semel eius est in forma syllogismi taliter generis. et dicitur dicitur. et quia non opinamus quod cognoscimus est de rebus honorabilibus. et delectabilibus et quod scientiam superat se ad invicem: aut propter confirmationem demonstrationis: aut propter nobilitatem subiecti: aut propter utroque: hanc (sicut dicitur in scientia de anima. f. quod dicitur in his duobus

alios scientiam partem scientiam dicitur certum est certum quod scientiam dicitur certum alios scientiam. Et dicitur per alios certum certum quoniam post haec procedunt.

Videmus autem ad veritatem certam cognitio ipsius multum proficere maxime autem ad naturam. est eis tamen principium animalium.

Et etiam videmus quod cognoscere eas adjuvat magno iuvamento in omni veritate: et maxime in natura. est. n. quasi principium animalium.

Quoniam demonstrantur talia propter quoniam dicitur esse haec scientiam magis honorabilis et perfectionis alios scientiam nobilitate: utroque est demonstrat nobilitatem hanc scientiam dicens et non videmus utrumque cognoscere et certum et incertum per omnia veritate certum et incertum. et incertum per hoc quod dicitur et maxime in natura: et maxime in forma naturae. **Id.** dicitur certum propter quoniam magis adjuvat naturam scientiam quod dicitur. Dicendo est enim quasi principium animalium. et causa haec est: quia cognoscere de animalibus est maxime cognitio partium animalium et animi et perfectio animalium. Unde necessitas est: aut scire de anima sit necessarium in cognoscere animalium: non tantum scire. et dicitur scire quod humanitatem scientiam anime ad alios scientiam invicem talibus modis. Quoniam unus est secundum quod est pars alios scientiam. uno nobilitate partium eius scire habet dispositionem ad scientiam naturam. Animalia. n. sunt nobilitate compositum generabilium et corruptibilium. Animalia autem est nobilitate omnibus que sunt in animalibus. Secundum est quod dicitur partem scientiam partem partem: aut scire naturam. f. scire dicitur: et dicitur scire naturam. scire naturam enim scire per haec scientiam animalium: scire hominibus in eo quod est homo. et scire naturam substantiam scire naturam. haec enim dicitur: f. quoniam scire forme abstractae sunt intelligitur: et alia materia de cognoscere dispositionem consequentem intelligentiam in eo quod est intelligentiam et intellectum. Certum scire est omnium iuvamento et est facile ut accipere confirmationem in primis principibus: quoniam ex ea accipitur cognitio animalium partium naturam propositionum. et cognitio alios partium naturam est magna firma quod in esse tantum.

Inquirimus autem considerare et cognoscere naturam ipsius et substantiam: postea quocumque accidit circa ipsam: quorum alie proprie passionem videntur: alie autem communitate et animalibus in esse.

Et questum est scire naturam et substantiam eius: postea autem omnia que accidunt ei. et existimatum est quod horum accidentium quocumque sunt passionem proprie anime: et quocumque

شكل ٨٩ - الطبعة اللاتينية الأولى ، لكتاب « النفس » (بادوا ، ١٧٤٢) ، نشرها لاورنتيوس كانوزيوس أحد أهالي لنداريا ، وكان يعمل في بادوا من سنة ١٤٧٢ إلى ١٤٧٥ (كالتويج المتحف البريطاني ، مجلد ٧ ، ص ٩٠٧ كلبس ٨٤ - ١) وقد تم طبع هذا الكتاب في ٢٢ نوفمبر ١٤٧٢ - ٩٠ ورقة من القطع الكبير في عمودين ، وكل فقرة من النص مكتوبة مرتين ، مرة في ترجمة لاتينية جديدة ، ومرة في ترجمة لاتينية قديمة ، ومتبوعة بشرح ابن رشد على الأخيرة ، والشكل يمثل الصفحة الأولى (نقلا عن النسخة الموجودة بمكتبة جامعة هارفارد) .



ΑΡΙΣΤΟΤΕΛΟΥΣ ΑΝΑΛΥΤΙΚΩΝ ΠΡΩΤΕΡΩΝ
ΠΡΩΤΟΝ.

ΠΕΡΙ ΤΩΝ ΤΡΙΩΝ ΣΧΗΜΑΤΩΝ.



ΠΡΩΤΟΝ ΕΙΠΕΙΝ ΠΙΣΤΑ ΤΙ Η ΓΙΝΟΜΕΝΗ ΣΚΕΨΙΣ ΔΕΞΙΝΟΤΗΤΑ ΠΙΣΤΕΩΣ ΑΠΟΔΕΧΕΙΝ, ΚΑΙ ΕΨΙΣ ΤΗΣ ΜΗΤΕ ΑΠΟΔΕΧΕΤΑΙ ΚΑΙ ΕΙΣ ΤΗ ΔΙΔΟΧΗ, ΤΙ ΕΣΤΙ ΠΡΟΤΙΠΟΙΟΝ ΚΑΙ ΤΙ ΟΡΟΣ ΚΑΙ ΤΙ ΣΥΛΛΟΓΙΣΜΟΣ. Η ΠΥΡΙΟΣ ΤΙΛΦΟΣ ΚΑΙ ΠΥΡΙΟΣ ΑΤΙΛΦΟΣ. ΜΕΤΑ ΔΕ ΤΑΥΤΑ, ΤΙ ΤΟ ΕΡΩΤΩΜΕΝ ΕΙΝΑΙ, Η ΜΗ ΕΙΝΑΙ, ΤΟ ΔΕ ΤΗΣ ΔΕ ΚΑΙ ΤΙ ΛΙΓΟ ΜΕΝ ΤΟ ΚΑΤΑ ΠΕΝΤΕΤΕΙΟΝ ΜΗΔΕΝΟΙ ΚΑΤΗΓΟΡΕΪΘΑΙ. ΠΡΟΤΙΠΟΙΟΝ ΜΩΝ ΔΕ ΔΕΞΙΝΟΤΗΤΑ ΚΑΤΑΦΑΤΙΚΟΣ Η ΑΠΟΦΑΤΙΚΟΣ, ΤΙΝΟΣ ΚΑΤΕΠΙΤΙΝΟΣ ΟΥ ΤΡΕΪ Η ΚΑΘΟΛΟΣ, Η ΕΝ ΜΕΡΕΪ Η ΑΔΙΟΡΕΪΣ. ΛΙΓΩ Η ΚΑΘΟΛΟΣ ΜΕ ΤΟ ΠΑΝ ΤΗ Η ΜΗΔΕΝΟΙ ΟΥ ΠΑΡΧΕΙΝ ΜΕΡΕΪ ΤΟ ΤΙΝΙ Η ΜΗ ΤΙΝΙ Η ΜΗ ΠΑΝ ΤΗ ΠΙΣΤΙΣ ΑΔΙΟΡΕΪΣΤΟΙ ΔΕ, ΤΟ ΟΥ ΠΑΡΧΕΙΝ Η ΜΗ ΟΥ ΠΑΡΧΕΙΝ, ΑΝΘΩ ΚΑΘΟΛΟΣ Η ΚΑΤΑ ΜΕΡΟΣ ΟΙ ΟΝ ΤΟ ΕΡΩΤΩΜΕΝ ΕΙΝΑΙ, ΕΙΝΑΙ ΑΥΤΕΙΣ ΠΙΣΤΗ ΜΕΝ Η ΤΟ ΤΙΩ Η ΟΥ ΤΙΩ, ΜΗ ΕΙΝΑΙ ΑΓΕΘΟΝ. ΔΙΑΦΕΡΕ ΔΕ Η ΑΠΟΔΕΧΕΤΑΙ Η ΠΡΟΤΙΠΟΙΟΝ ΤΗΣ ΔΙΑΛΕΚΤΙΚΗΣ ΟΤΙ Η ΜΩΝ ΑΠΟΔΕΧΕΤΑΙ, ΛΗΨΑΙ ΤΑ ΤΕΡΟΥ ΜΟΡΕΪΣ ΤΗΣ ΑΝΤΙΦΑΣΕΩΣ ΔΕΞΙΝΟΤΗΤΑ, ΑΛΛΑ ΛΑΜΒΑΝΟΜΕΝΟ ΑΠΟΔΕΧΕΤΑΙ ΟΥ Η ΔΙΑΛΕΚΤΙΚΗ, ΕΡΩΤΗΣΙ ΤΗΣ ΑΝΤΙΦΑΣΕΩΣ ΔΕΞΙΝΟΤΗΤΑ ΟΥΔΕΝ ΔΕ ΔΙΟΪΣΙ ΠΡΟΣ ΤΟ ΖΗΛΕΙΘΑΙ ΤΗ ΜΕΚΑΤΕΡΕΣ ΣΥΛΛΟΓΙΣΜΟΝ ΚΑΙ ΤΡΕΪ ΑΠΟΔΕΧΕΤΑΙ ΟΥ ΜΕΡΩΝ ΣΥΛΛΟΓΙΣΜΟΝ. ΛΑΒΩΝ ΤΙ ΚΑΤΑ ΤΙΝΟΣ ΟΥ ΠΑΡΧΕΙΝ Η ΜΗ ΟΥ ΠΑΡΧΕΙΝ. ΟΥΣ ΤΙ ΕΣΤΙ ΣΥΛΛΟΓΙΣΜΟΣ ΚΑΙ ΜΩΝ ΠΡΟΤΙΠΟΙΟΝ, ΑΠΛΩΣ ΚΑΤΑΦΑΣΙΣ Η ΑΠΟΦΑΣΙΣ ΤΙΝΟΣ ΚΑΤΕΠΙΤΙΝΟΣ, ΚΑΤΑ ΤΟΝ ΕΙΡΗΜΕΙΟΝ ΤΟ ΠΑΝ. ΑΠΟΔΕΧΕΤΑΙ Η ΕΙΝΑΙ ΑΛΗΘΗΣ Η ΕΙΝΑΙ ΔΕ ΤΟ ΕΡΩΤΩΜΕΝ ΟΥ ΠΙΣΤΕΩΣ ΕΙΝΑΙ ΛΗΜΜΕΝΟΝ. ΔΙΑ-

شكل رقم ٩٠ - صفحة من الطبعة اليونانية الأولى لمؤلفات أرسطو ، وهي ٥ مجلدات من القطع الكبير في ٦ . طبعها ألدوس مانوتوس في البندقية ١٤٩٥ - ١٤٩٨ (كليس ٨٣-١) . وهذه الصفحة مأخوذة من مجلد رقم ١ ، وفيه الأورجانون - نوفمبر ١٤٩٥ . وهي بداية مبحث « التحليلات الأولى » . لاحظ الطبع الأنيق المليء بروابط الحروف ، وهو يبدو كما لو كان صفحة من مخطوط . وفي عبارة اختتام الكتاب امتياز ممنوح من مجلس شيوخ البندقية ، يحرم على سائر الطباعين نشر هذه النصوص عينا (نقلًا عن النسخة الموجودة بمكتبة جامعة هارفارد) .

LIBRORVM OMNIVM QVI HOC OPBRE CON
 unentur, & quos uidere nobis hactenus græce impressos con
 ugit, catalogus. Extant enim latine quidam, qui
 nusquam dum impressi fuerunt.

IN PRIMO TOMO SVNT

Περὶ φυσικῆς ἀκουστικῆς	Βιβλίον α'	Porphyrii introductio, lib. 1	fol. 1
Ἀριστοτέλους καθ' ἡσυχίαν	Βιβ. α'	Aristotelis predicamentorum lib. 1	4
πρὸς Ἀλέξανδρον	Βιβ. α'	De enunciatione, lib. 1	10
Ἀπελευθεριῶν προτέρων	Βιβ. β'	Resolutionum priorum, lib. 11	14
Ἀπελευθεριῶν ὑστερίων	Βιβ. β'	Resolutionum posteriorum, lib. 11	36
Τοπικῶν	Βιβ. θ'	De locis, lib. v 111	48
πρὸς Γοργίαν ἐπιλόγιον	Βιβ. α'	De sophisticis reargutionibus, lib. 1	75
Φυσικῆς ἀκουστικῆς, ἢ περὶ κινήσεως, Βι- βλία β'		De auscultatione naturali, siue de motu, lib. v 111	84
πρὸς Ἐνριμένον	Βιβ. δ'	De caelo, lib. 1111	105
πρὸς γένεσιν καὶ φθορὰς	Βιβ. ε'	De generatione & corruptione, lib. 11	112
Πνευματολογικῶν	Βιβ. στ'	De his quæ in sublimi sunt, lib. 1111	123
πρὸς Κρόνον	Βιβ. ζ'	De mundo, lib. 1	140
πρὸς Ψυχῆς	Βιβ. η'	De anima, lib. 111	160
πρὸς ἐπίδησον καὶ αἰδιδοντιῶν	Βιβ. θ'	De sensu & sensibilibus, 1	176
πρὸς Μνήμης καὶ τῆς μεμνημένῳ	Βιβ. α'	De memoria & meminisse, lib. 1	182
πρὸς Ὑπνῶν καὶ γρηγορήσεως	Βιβ. β'	De somno & vigilia, lib. 1	184
πρὸς ὄψοντιον	Βιβ. γ'	De insomniis, lib. 1	190
πρὸς τὴν καθ' ὕπνον ματαιότην	Βιβ. δ'	De diuinatione per somnum, lib. 1	187
πρὸς Ζώων κινήσεως	Βιβ. ε'	De motu animalium, lib. 1	198
πρὸς μακροβιότητος, ἢ βραχυβιότητος		De longitudine & breuitate uitæ, liber 1	190
Βιβλίον ε'		De iuuentute, senectâ, uitâ, & morte, li- ber 1	199
πρὸς πτόσητος, καὶ γῆρας, ἢ ζωῆς, καὶ θλι- νάτο	Βιβ. ζ'	De respiratione, lib. 1	193
πρὸς ἀσπνῶς	Βιβ. α'	De ingressu animalium, lib. 1	197
πρὸς ζώων περιεργίας	Βιβ. β'	De fani, lib. 1	200
πρὸς τὸ ἐνδέματος	Βιβ. γ'	De generatione animalium, lib. v	202
πρὸς ζώων γένεσιν	Βιβ. δ'	De partibus animalium, lib. 1111	212
πρὸς ζώων μεταβολῆς	Βιβ. ε'	De historia animalium, lib. x	255
πρὸς ζώων ἰσχυρίας	Βιβ. ζ'	De coloribus, lib. 1	311
πρὸς ζώων ἰσχυρίας	Βιβ. ζ'	De phisognomicis, lib. 1	314
πρὸς φωνητικῶν	Βιβ. α'	De mirabilibus auscultationibus, lib. 1	319
πρὸς ὁμοιωμάτων καὶ ἀπομοιωμάτων	Βιβ. β'	De Xenophane, Zenone, & Gorgia, li- ber 1	324
πρὸς ἰσομοιωμάτων καὶ ἀπομοιωμάτων	Βιβ. γ'	De insecabilibus lineis, lib. 1	327
πρὸς ἀπτόσητος γράμμεων	Βιβ. δ'	Mechanica, lib. 1	331
Βιβλίον ζ'			

IN SECVNDO TOMO SVNT

ἠθικῶν Νικομαχείων	Βιβ. α'	Ethicorum ad Nicomachum, lib. x	3
ἠθικῶν μεγάλων	Βιβ. β'	Magna moralia, lib. 11	36
Εὐδαιμονίας	Βιβ. γ'	Ad Eudemum, lib. v 11	40
Πολιτικῶν	Βιβ. δ'	De rebus publicis, lib. v 111	74
Οἰκονομικῶν	Βιβ. ε'	De rebus domesticis, lib. 11	115
Ἐπιστημολογικῶν	Βιβ. ζ'	De arte dicendi, lib. 111	112
Ἐπιστημολογικῶν πρὸς Ἀλέξανδρον	Βιβ. α'	De arte dicendi Alexandri, lib. 1	147
Ποιητικῶν	Βιβ. β'	De Poëtica, lib. 1	159
Προβλημάτων	πρόβλημα α'	Problematarum, sectiones xxxv 111	165
Τῶν ματῶν φυσικῶν	Βιβ. γ'	Metaphysicorum, lib. x 1111	200

شكل رقم ٩٢ - صفحة أخرى من الطبعة اليونانية الثانية (بال ، ١٥٣١) . والنص الأصلي مسبق بمقدمة من ثمان ورقات تتضمن إهداء باللاتينية من أرازموس إلى جون مور ، بتاريخ ١٥٣١ بفريربورج و بريزجاو ، وسيرة موجزة عن أرسطو بقلم جوارينو الفيروني ، وقائمة بالمحتويات (صفحة الورقة الأخيرة) ، وهي التي تظهر في هذا الشكل . لاحظ أن النص الأصلي يبدأ « بمقدمة » بوفيريوس (النصف الثاني من القرن الثالث) وهي تضاف إلى الأورجانون كثيرا (نقلا عن النسخة الموجودة بمكتبة جامعة هارفارد) .

الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣) والإمبراطورية المقدونية (٣٦) :

ولد الإسكندر في بللا في صيف عام ٣٥٦ بعد ثمان وعشرين سنة من مولد أرسطو ، أبوه فيليب الثاني ، وأمه أولمبياس ، إحدى أميرات إبيروس ، وهي امرأة ملتزمة العواطف ، مؤمنة بالخرافات . ولا نعلم شيئاً عن تعليمه في الصغر ، لكن عندما بلغ الثالثة عشرة من عمره استدعى أرسطو ليقوم بتثقيفه . ولم يستمر الإسكندر في تلمذته لأرسطو سوى ثلاث سنوات ، لأنه اضطرب في سن السادسة عشرة أن يحكم مقدونيا نيابة عن أبيه المتغيّب ، واشترك في سن مبكرة في المعارك الحربية . ففي الثامنة عشرة قاد الجناح الأيسر من جيش أبيه في موقعة خيرونيا . ولما تزوج أبوه من كليوباترة في السنة التالية ، اضطرب الإسكندر إلى الفرار مع أمه إلى إليريا . ولا ندرى ماذا كان يحدث لهذا الشاب لو أنه بقي في المنفى؟ لكن عجلة التوفيق دارت له ، وكان دورانها جدياً سريعاً . إذ اغتيل فيليب بعد سنة (٣٧) ، وارثق الإسكندر عرش مقدونيا وهو في العشرين (٣٣٦) .

ولنرجع لحظة إلى أيام تلمذته لأرسطو . إنها تركت في نفسه أثراً عميقاً مع أنها لم تستمر فترة طويلة . وماذا علمه أرسطو؟ علمه الشعر ، ولا سيما الإلياذة (وكان الإسكندر يضع تحت وسادته نسخة من الإلياذة تفحصها له معلمه) ، وتاريخ بلاد اليونان وفارس . وجغرافية آسيا الصغرى ، والأخلاق ، والسياسة . ولم يتأثر الإسكندر بدروس أرسطو في حد ذاتها بقدر تأثره بروح أستاذه في التدريس . ونحن على يقين من أن هذا التدريس كان متزناً ، عملياً ، معتدلاً ، كما كان سامياً نبيلاً . فقد كان في وسع أرسطو أن يكون أفضل المعلمين ، بقدر ما كان أفلاطون أسوأهم . وانتهت فترة التلمذة بداهة عندما استدعى الإسكندر للاضطلاع بالأعباء الإدارية والحربية . ومع هذا فقد استمر يتخذ من أرسطو صديقاً مكرماً وناصحاً أميناً (٣٨) وظلت العلاقات الودية بينهما قائمة على الأقل حتى مصرع كالليستينس سنة ٣٢٧ (٣٩) .

والقرائن كثيرة على حسن معاملة الإسكندر لمعلمه السابق . فلم تكف تؤول

إليه مقاليد الأمور حتى أمر بإعادة بناء اسطاغيرا . مسقط رأس أرسطو ، وكان فيليب قد دمرها . وعندما فتحها لسبوس وقاها شر النهب إرضاء لثيوفراستوس ، صديق أرسطو . ولما زار قبر أخيل في منطقة طروادة ، كان في صحبته كالليتيس ، ابن أخت أرسطو . كما قدم مساعدات كبيرة لليكيوم ، ولأرسطو نفسه ، وللساعديه ، كى يواصلوا بحوثهم العلمية .

ومع أننا نحسب أن قرآء هذا الكتاب لا يحفلون كثيراً بالفتوحات الحربية فإننا نرى أنه يجب أن نستعرض في إيجاز حملات الإسكندر الكى نوضح مظاهر عبقريته .

بدأت حملاته في بلاد اليونان ، إذ كان لزاما عليه أن يخمد الثورات التى نشبت في جهات عدة بعد مقتل أبيه . وإظهاراً لمبلغ قسوته ، وإرهاباً لمن تسول لهم نفوسهم القيام بثورات أخرى ، دمر طيبة ، مبقياً على بيت الشاعر بندار فقط ، (وهذا سلوك يتميز به) . . مع استسلام أثينا وولائها ، أثار ديموستين - وكانت فارس تمدد بالمال - قلاقل جديدة . ولكن الإسكندر أعرض عنها ، وأعيد تكوين الحلف الهليني (وبقيت إسبرطة خارجة) ، وانتخب الإسكندر زعيماً له ، وأصبح في وسعه أن يستأنف خطة فيليب لفتح آسيا . ولم يكن في مقدور حامى ذمار الحضارة الهلينية أن يفعل أقل من ذلك ، إذ اتضح بجلاء أن الوحدة اليونانية ستظل معرضة للخطر مادامت فارس قادرة على إثارة البغضاء والتمرد بين الدويلات اليونانية .

وكان للإسكندر مقدرة عظيمة على التأثير في النفوس ، كان يعرف كيف يثير إخلاص جنوده وإعجابهم ، ويغذى فيهم روح الخرافات التى تخدم مصالحه . وبعد أن جمع جيشاً مقدونياً ينتظم فرقا من جميع الدويلات اليونانية (ما عدا إسبرطة) ، بدأ فتوحاته في الركن الشمالى الغربى من آسيا الصغرى ، ونزل بسهل طروادة ، وأقام الصلوات في معبد أثينا ، باعثاً من جديد ذكريات المجد القديم الذى قرأ عنه كل يونانى في الإلياذة . وهكذا ظهر لجنوده في صورة أخيل الحديد . وكسب أولى معاركه الكبيرة في سنة ٣٣٤ على مقربة من نهر جرانيكوس (في إقليم ميسيا) . ولم يستطع الولاة من الفرس الوقوف في وجه الفيلق المقدونى ،

ومنوا بهزيمة ساحقة ، أصبح الإسكندر بعدها حراً في أن يزحف جنوباً ، محرراً المستعمرات اليونانية الواحدة تلو الأخرى . ولكن مركزه استهدف للخطر من جراء وجود أسطول فارسي قوى قد يقطع خط مواصلاته مع مقدونيا وبلاد اليونان . ولذلك وطد عزمه على أن يسيطر على جميع الموانئ (في آسيا الصغرى وسوريا ومصر) ، ليحرم الأسطول الفارسي الارتكاز عليها ، وتم له ذلك بسرعة مذهلة ، وقاد الإسكندر جيوشه عبر آسيا الصغرى ، ثم اجتاز أبواب قيليقية ، واشتبك في معركة أخرى كبيرة عند أسروس ^(٤٠) في سنة ٣٣٣ . موقعاً الهزيمة بالجيش الفارسي الأعظم ، وكان يقوده الملك الأكبر نفسه . دارا الثالث ، آخر أفراد أسرته . واتفق دارا الصلح . عارضاً التنازل عن جميع المنطقة الواقعة غرباً الفرات . ولكن الإسكندر أدرك عندئذ مبلغ قوته ، ولم يكن يستطيع كبح أطماعه . وقبل أن يستكمل فتح الإمبراطورية الفارسية ، استولى على الموانئ الفينيقية و مصر . وبذلك أصبح الأسطول الفارسي عاجزاً عن القتال ، وتشتت وحداته أو دمرت . وبعدئذ استأنف الإسكندر غزو الشرق فعبّر الفرات والدجلة ودحر دارا الثالث مرة أخرى عند أربلا (٣٣١) . واغتيل دارا بيد أحد رجاله فعامل الإسكندر أسرته معاملة نبيلة . وإذن لم يبق ما يحول بينه وبين الاستيلاء على المدن الفارسية مثل بابل وسوس وباساجردا (حيث زار الإسكندر قبر قورش) ، و بربسيوليس (التي أضرمت النيران في قصورها الرائعة) واكتباننا . ولم يستطع الإسكندر أن يقف عند هذا الحد ، بل أرغم جنوده على الزحف وسط الهضبة الإيرانية ، وعبور نهري جيحون وسيحون ، ثم الاتجاه جنوباً صوب الهند . وكان في استطاعته المسير إلى ما لا نهاية لولا ما استولى على جنوده من يأس وتدمير . وقد أبحروا جنوباً في نهر السند على ظهر ٨٠٠ سفينة ، وعندما بلغوا المحيط الهندي ، استولت الدهشة على اليونانيين لرؤية المد والجزر ، وهو منظر لم يأفوه من قبل . ثم عادوا إلى بابل ، بعضهم برّاً عبر الصحراوات الفارسية ، وبعضهم بحراً على سفن سارت بمحاذاة شواطئ المحيط الهندي واتجهت شمالاً إلى الخليج الفارسي وشط العرب . ووصل من بقوا أحياء — بعد هذه الرحلة الحارقة — إلى بابل في سنة ٣٢٣ .

وقد غيرت هذه الفتوح الهائلة أخلاق الإسكندر الذى كان بالفطرة كريم النفس ، وقد أثبت شهامته فى مناسبات عدة ، لكنه لم يستطع ، من ناحية أخرى ، أن يكبت شعوره بالزهو ، فإذا لم يكن أحس بأنه إله ، فقد أحس بأنه فوق البشر ، أو بأنه إنسان مثالى ، أى بطل بالمعنى اليونانى . وقد قضى أثناء إقامته فى مصر ثلاثة أسابيع فى زيارة معبد آمون بالصحراء الغربية ، وهناك نودى به ابنا لزيوس آمون . وكان فى نظر المصريين إلهاً حياً ، وفى نظر الآسيويين خليفة الملك الأكبر ، وحاكماً مطلقاً لا يستطيع أحد أن ينقض له أمراً . وأما فى نظر اليونانيين فكان زعيم الحلف الهلنى وحامى حماه ، وبطلاً فاتحاً ، ودكتاتوراً . وكان هو الضحية الأولى لسلطانه الجامح الذى لارقيب عليه ، شأنه فى ذلك شأن كل دكتاتور غيره . كان الموت جزاء من اجترأ على معارضته ، سواء فى شئون الحكم أم فى المناقشة ، حتى فى اللهو . وكان سبباً مباشراً أو غير مباشر فى مصرع كثير من الناس من أمثال فيلوتاس بن بارمانيون سنة ٣٣٠ ، أكفأ قراده ، وبارمانيون نفسه ، وقد قتل بيديه كليتوس ، خير أصدقائه ، الذى أنقذ حياته فى موقعة جرانيكوس ، وأعدم كالليستينس فى سنة ٣٢٧ . وكان الثمن الذى دفعه الإسكندر لشراء مجده هو تلك الأعمال الشائنة التى لا يكفر عنها أبداً نصر ولا سؤدد مهما بلغ شأنه .

ولم يتبق له سوى صديق واحد هو هيفايستيون Hephastion المقدونى ابن أمينتور . لكنه مات بالحمى فى سنة ٣٢٤ ، فبكاه الملك بكاء مرّاً . وبينما كان الإسكندر يضع خططاً جديدة لغزو بلاد العرب - بل لعله نوى غزو غربى البحر المتوسط أيضاً - (لأن هذه الخطط كانت جزءاً من حملته الانتقامية) مرض بالحمى ، وقضى نحبه فى بابل فى يونية ٣٢٣ . وقد استغرقت حملاته العجيبة ثلاث عشرة سنة ، فتح خلالها جانباً كبيراً من العالم ، وتسبب - مع نبل أخلاقه - فى مقتل جموع لا حصر لها من الناس وفى شقائهم .

هكذا كانت حياة الإسكندر الأكبر ومماته ، ذلك الرجل الذى لا سبيل إلى أن تنسى أعماله أو تغفر له .

كان الإسكندر في موته موفقاً أكثر من غيره من الغزاة ، لأنه لم يشهد تفكك إمبراطوريته . إنه مع جليل قدر ما أنجزه لم يكن قد أنجز من عمله سوى بدايته ، وهي أيسر جانب منه . وبقي جانب كبير يتطلب الإنجاز لتدعيم انتصاراته وتنظيم الإمبراطورية ، ووقف عوامل النزاع والضعف التي لا حصر لها . ولئن كان من الميسور انتزاع العالم من أيد هزيمة ، فقد كان من المستحيل ، حتى على أقوى الأيدي ، أن تحتفظ به سليماً كاملاً . وقد أكرمت الأقدار الإسكندر بأكثر مما يستحقه ، وتوفته وهو في أوج مجده . كان الإسكندر أشبه بالمقامر يكسب كل ما على مائدة القمار ثم يلفظ أنفاسه الأخيرة فجأة قبل أن ينجسه .

لم تبق إمبراطورية الإسكندر قائمة من بعده . فقد تطاحن قواده طوال الخمسين سنة التالية للحصول على أكبر نصيب من السلطان . وظهرت حوالي سنة ٢٧٥ ثلاث أسر : أسرة أنتيجونوس التي سيطرت على مقدونيا وبلاد اليونان ، وأسرة سليوكوس في آسيا الغربية ، وأسرة بطلميوس وقد حكمت جنوب سوريا ومصر وبرقة وقبرص . أما بلاد اليونان فقد تمزقت أوصالها فعاتت سيرتها الأولى ، وتحالف بعض دويلاتها أحيانا ضد البعض الآخر . ولم تنزل إمبراطورية الإسكندر من الوجود فحسب . بل أدمجت بلاد اليونان ومقدونيا في الإمبراطورية الرومانية الجديدة . ولم يأت عام ٢٠٠ حتى أشرف استقلال بلاد اليونان على النهاية . لقد احتفظت مقدونيا بكيانها حقبة طويلة قبل الإسكندر ، بيد أنها لم تعمر بعده قرنين من الزمان ، وانهارت في سنة ١٦٧ وأصبحت ولاية رومانية في سنة ١٤٦^(٤١) فلم يشيد الإسكندر إمبراطورية وطيدة الأركان . وإنما أسهم في القضاء على بلاده التي ورثها عن أبيه .

هل توهم الإسكندر أنه إله ؟ وكيف له ذلك لو كانت لديه ذرة من ذكاء؟ هل يتألم الآلهة وينخدعون ؟ وهل كان الإسكندر يحلم بإمبراطورية عالمية ؟ لعله لم يقصد إلى ذلك ، لكن ربة الانتقام دفعته إلى التوسع في الفتح . وإزاء ذلك غدت إمبراطوريته مترامية الأطراف . متباينة الأجناس ، طافحة بأنواع تاريخ العلم

المنازعات الخارجية والداخلية . وكانت الحرب الأهلية أو الأجنبية هي السبيل الوحيد لتخفيف حدة هذه المنازعات . وهكذا استمرت حركة التوسع بينما أرحشت حركات القمع الداخلية إلى حين . ولو امتد الأجل بالإسكندر ، لأضاع بقية عمره في نزاع مستمر عقيم .

ومن الجائز أن قوماً آخرين توهموا أنه إله ، لأنه تمتع بسلطان لا حد له . فقد آمن المصريون بألوهيته ، ولعل بعض الآسيويين شاركهم في ذلك . وأما اليونانيون فلم يؤمنوا به ككل الإيمان . ولعل ما يعامل به الدكتاتوريون في عصرنا المستنير من إجلال وتقديس يعيننا على تفهم الوضع الذي قام منذ أربعة وعشرين قرناً .

كان الإسكندر مع اندفاعه نبيل الخلق ، وكان من جهة رئيسية أنبل خلقاً من أرسطو ، بغض النظر عن أفلاطون . إذ اعتبر الفيلسوفان أن المتبريرين ، أى غير اليونانيين ، من جنس أدنى ، وأنه من الصواب شهر الحرب عليهم ، واستئصال شأفهم ، واسترقاقهم ، وأن اليونانيين ولدوا أحراراً والمتبريرين عبيداً . ومما يذكر للإسكندر بالتقدير أنه استطاع أن يرتفع بنفسه عن مستوى أستاذه (٤٢) .

أدرك الإسكندر ما لم يدركه أفلاطون ولا أرسطو ، وهو إمكان قيام الوحدة بين جميع البشر . ويرجع تفوقه الخلقى في هذا الصدد إلى أنه كان أكثر منهما خبرة بالرجال . لقد عرف منذ طفولته أسوأ جانب من الحياة اليونانية والمقدونية ، ولم يكن من الميسور أن يظل فساد حاشية الأب محتجباً عن عيني الابن الذكي عندما شب عن الطوق . فإذا لم يكن أبوه قد أطلعه على هذا الفساد ، فلا يستبعد أن تكون أمه قد فعلت ذلك . وليس ثمة شك ، من ناحية أخرى ، في أنه عرف كثيرين من أفاضل الشرقيين . ولا بد أنه تبين مبكراً أن ما بين اليونانيين والمتبريرين من عداء وهماً باطلاً ، وأن خبرته بالرجال ازدادت زيادة كبيرة في خلال حياته القصيرة الحافلة بالأحداث . ولما كان هو نفسه قد عبد ، فقد ارتفع إلى مستوى شاق رأى منه جميع الناس سواسية في عدم مساواته . ويسر له ذلك أن ينظر بعين التسامح إلى خلافاتهم ، وأن يدرك ما بينهم من إخاء أصيل .

ولئن لم يكن من المرجح أن الإسكندر حلم ببناء إمبراطورية عالمية ، فن المقطوع به أنه حلم بقيام وثام عالمي (Concordia)، إذ أدرك أن الناس لا ينبغي أن يرتبوا ترتيباً أعمى وفقاً لأجناسهم ، بل ينبغي أن يرتبوا بروح متسمة بالتعقل والعطف وفقاً لكفائاتهم . وربّ معترض يقول إن غزاة آخرين خطرت لهم هذه الفكرة ، ويزعم في دفاعه الوحيد عن أعمالهم أنهم ما خرجوا لغزو الشعوب بل لتوحيدها ، وتحريرها ، لا استعبادها^(٤٣) . ونحن لاننكر ذلك ، بيد أن الإسكندر كان أول من خطرت له هذه الفكرة ، وفضله أكبر ، لأنه كان من الطبيعي أن يساير ميول أفلاطون وأرسطو الخبيثة . وأقوى دليل على عبقريته استطاعته التغلب وحده على تلك الميول .

ولعل نسبة الشخصى هو الذى حجب إليه فكرته عن ضرورة المزج بين الشعوب للعمل معاً على خير الإنسانية . فلم يكن الإسكندر كأفلاطون إغريقياً صمياً، بل نصف متبربر^(٤٤) . ومهما يكن من شىء ، فقد بذل ما فى وسعه لتحقيق هدفه السياسى الجديد بتنصيب الشرقيين ولاة على المقاطعات ، وتقليدهم وظائف سامية أخرى ، وإدماج جنود من أجناس مختلفة فى جيوشه ، ومزج شعوب شتى فى مدنه الجديدة ، وزواجه من الأميرة الباكترية روكسانة ، وتشجيعه الزواج من الأجنبيةات . ولئن كانت جميع هذه الإجراءات فيما يحتمل قاصرة جداً ، فإنها تنهض دليلاً على حسن نيته ، وعلى بدء سياسة مختلفة عن سابقها كل الاختلاف . وكما يقول الأستاذ تارن Tarn: « إن دولة أرسطو لم تحفل بمن يقطنون خارج حدودها ، فلامناص من أن يكون الأجنبي عبداً أو عدواً . ولكن الإسكندر قلب ذلك كله . وعندما نادى بأن جميع البشر أبناء لرب واحد ، وابتهل فى أوبيس أن يكون المقدونيون والفرس شركاء فى الإمبراطورية ، وأن تعيش كل شعوب الأرض فى وثام واتحاد قلبى وفكرى ، كان أول داع إلى الوحدة والإخاء بين البشر كافة^(٤٥) » .

تلك الفكرة . فكرة الإخاء بين البشر ، كثيراً ما تنسب إلى الكليبيين والرواقين والمسيحيين ، ولكن الإسكندر كان أسبقهم إليها^(٤٦) . وينبغى

ألا ننسى أن زينون الرواقى ولد حوالى الرقت الذى بدأ الإسكندر فيه حملته ، ولم يكن قد ناهز الثانية عشرة من عمره عندما مات الفاتح .

وكان ديوجينيس السينوبى (حوالى ٤٠٠ - ٣٢٥) ، وهو كثيراً ما يعتبر مؤسس المدرسة الكلبيه ، أكبر سنّاً من الإسكندر . ولئن صدقت القصة المشهورة ، فقد قابل الإسكندر فى المؤتمر العام الذى عقده اليونانيون عند خليج كورنثيا . فلما نصب الإسكندر قائداً للحملة ضد الفرس ، أقبل عليه كثير من الناس مهنتين . ولكن ديوجينيس - وكان يقيم فى كورنثيا ، لم يحدّ حذوهم بل تجاهل وجود الملك تجاهلاً تاماً . « وقد ذهب الإسكندر شخصياً ليراه فوجده مستلقياً فى ضوء الشمس . ونهض ديوجينيس قليلاً عندما رأى حشداً كبيراً مقبلاً عليه ، وتفرس فى عيني الإسكندر . فلما حياه ذلك العاهل وسأله إن كان يرغب فى شيء ، أجابه : نعم ، أن تبعد قليلاً حتى لا تحجب عنى ضوء الشمس » . وروى أن الإسكندراعته تلك الإجابة ، وأعجب أيما إعجاب بإباء الفيلسوف وشممه ، مع أنه لم يظهر له سوى الازدراء ، حتى إنه قال لأتباعه وهم يغادرون المكان ضاحكين وساخرين من الفيلسوف : « الحق لو لم أكن الإسكندر لتمتيت أن أكون ديوجينيس » (٤٧) .

ولعل ديوجينيس قد ألهم الإسكندر ، غير أن فكرة الكلبيين عن العالمية (إن كانت قد وجدت) لم تنبت إلا فى وقت متأخر (٤٨) .

ولم يكن الإسكندر بفضل عبقريته وتعليم أرسطو فاتحاً جهولاً . ولعله كان يصبح رجلاً أعظم مما كان لو لم ترغمه الظروف السيئة على غزو العالم . فقد اهتم بمشروعات أرسطو ، وأبدى استعداداه لإعانة الليكيوم ، ومدّها بجمع مواد البحث التى تحتاج إليها (٤٩) . وفى وسعنا أن نقول إن حملاته الآسيوية كانت أول حملات علمية . فهو لم يقتصر على مهندسين قادرين على بناء الآلات الحربية أو إقامة الجسور وحفر المناجم ، ومعماريين وجغرافيين ومساحين ، بل كان فى حملته هيئة للقيام بأعمال السكرتيرية أو تدوين الأحداث التاريخية ، على رأسها يومينس الكاردى ، وفلاسفة وأدباء مثل كالليستينس الأولينثى وأنا كساجوراس

أحد أتباع ديموكريتيوس ، وتلميذه بيرون ، مؤسس مدرسة الشكاك وأونيسيكريتيوس البحار الروائي . وعلماء حيوان ونبات لجمع عينات لليكيوم ، وبطلميوس ابن لاجوس (وهو بطلميوس الأول ملك مصر منذ سنة ٣٦٧ إلى سنة ٢٨٢ على وجه التقريب) . وإليه يرجع الفضل فيما نعرفه من معلومات وثيقة عن حملات الإسكندر . وفي هذا كنه أظهر الإسكندر ذلك الشغف بالعلم الذى سوغ بعد صيت بونابرت فى هذا المضمار بعد واحد وعشرين قرناً من الزمان .

إن حلم الإسكندر بعالم متحد تحت زعامة اليزنان جاء سابقاً لأوانه فلم يمكن تحقيقه . ولكنه حقق نوعاً من الوحدة الثقافية التى لم تندثر أبداً مع سطحيتها . ذلك ما يسمى باصطباغ الشرق بالحضارة الهلينية . وقد انتشرت بفضل جهوده المثل اليونانية فى ربوع آسيا الغربية حتى بلغت الهند والصين . ولعل أوضح شاهد على انتشار الحضارة الهلينية هو بوادر فن التصوير البوذى فى جند هارا ، بتأثير اليونانيين فيه ^(٥٠) . ولكن غرب آسيا بالذات هو الذى تأثر بالحضارة الهلينية (وكان قد تأثر بها قبل الإسكندر وظل متأثراً بها من بعده) ، ومن جراء ذلك غدا هذا الجزء من العالم أوثق صلة بأوروبا منه ببقية أنحاء آسيا . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الشرق اصطبغ بالحضارة الهلينية ، ومع هذا فلا ينبغي لأحد أن يسي أن ذلك اقترن بحركة أخرى تسير فى اتجاه مضاد . ألا وهى اصطباغ الغرب بالحضارة الشرقية ^(٥١) . وقد دخلت الغرب نظريات جديدة عن السيادة ، والسياسة . والحكم ، نتيجة لمسلك الإسكندر فى بابل ومسلك خلفائه فى مصر وآسيا . وكان « تأثر » الشرق بالغرب قد بدأ قبل الإسكندر واستمر خلال العصرين الهلينستى والرومانى ، بل إنه لم ينقطع حتى فى العصر البيزنطى . ولم يكن تأثر الغرب بحضارة الشرق ، أمراً مستحدثاً فى عصر الإسكندر . وإنما بلغت الحركتان أوجهما فى ذلك العصر .

لكن ينبغي بعد ذلك أن نؤكد مرة أخرى أن اصطباغ الشرق بالحضارة الهلينية والغرب بالحضارة الشرقية كان سطحياً طفيفاً . وذلك حال معظم المؤثرات الحضارية عند انتشارها ، فثقلها مثل الزيت على سطح الماء ، فالماء لا يتغير .

لقد عرف الشرق أساليب المعيشة اليونانية ، ولكنه لم يستطع أن يفهم المثل اليونانية ، ومن ثم لم تصلح هذه المثل أداة لاتحاد الطرفين . وهذا السبب قبل سواه هو الذى جعل الإمبراطورية المقدونية غير وطيدة الأركان ، فلم يكن هناك رباط يلم شملها سوى نفوذ الإسكندر الشخصى .

إن الحضارة اليونانية التى انتشرت فى آسيا الغربية كانت بلا شك لاحقة لعصر الإسكندر ، وقد انتشرت هناك تحت رعاية الرومان وحظيت بنوع من الاستقرار بفضل السلم الرومانى (Pax Romana) الذى استمر فترة غير قصيرة . وفى وسعنا أن نقول إن بذور العصر الإسكندرى لم تثمر - فى أحوال كثيرة - قبل أن هيا لها السلم الرومانى الفرصة . وأفضل مثل على ذلك هو ديانة النجوم وكل ما يتصل بها (كدورة الأيام السبعة) وهى ترجع إلى زمن أفلاطون وفيليب الأوبوسى ، ولكنها لم تزدهر إلا زمن الرومان .

وكان للإسكندر تأثير من نوع آخر فى صورة أساطير . ولا ينبغي أن نستهين بهذا التأثير ، لأن السواد الأعظم من الناس سلم بصحة الأساطير ، وإن كانت صوراً ساخرة للواقع . وقد عرف العالم شخصية الإسكندر من طريق تلك الأساطير كما عرف هيلانة وأنخيل من طريق الإلياذة . وكان الإسكندر الذى ورد فى الأساطير هو الإسكندر الحقيقى فى نظر السواد الأعظم من الناس ، فى الشرق والغرب . وانتشرت أسطوره فى كل مكان ، حتى لقد نشأت عنها ثمانون قصة مكتوبة فى أربع وعشرين لغة . وعندما غزا المسلمون العالم بعده بألف عام ، ساهموا فى ترويض قصة البطل العظيم ، الإسكندر « ذى القرنين » . وقد ترجمت القصة العربية إلى لغات أخرى (٥٢) .

وكانت بعض القصص الأولى التى روجها المشاءون تندد بالإسكندر تنديداً شديداً لأن هؤلاء لم ينسوا مصرع كاليستينس على يديه . وهذه القصص تصوره تلميذاً نجيباً لأرسطو ، قضى عليه حظه الخارق فتدهور حتى صار طاغية فظاً . وأما الأساطير المتأخرة فقد خلعت من الإشارات السياسية وجعلت من الإسكندر بطلاً خارقاً وساحراً تنسب إليه جميع أنواع المعجزات (mirabilia) ، وكلها

جزء من الأدب والقصص الشعبي ولا قيمة علمية لها ، ولكنها تزخر بالمعاني الإنسانية .

وسأخص بالذكر من بين المخلوقات التي خلدها تاريخ الإسكندر وقصته ، مخلوقاً واحداً وهو بوكيفالوس Bucephalos . الجواد الأثير لدى البطل ، الذي قتل في موقعة هيداسبس في سنة ٣٢٦ (٥٣) . وبوكيفالوس هو ألمع فصيلته . وسبق الإسكندر الأكبر ممتطياً صهوة جواده الأمين بوكيفالوس ، مابقي البشر .

الليكيوم The Lyceum (٣٣٥) : تأسيسها وتاريخها الأول :

ظل أرسطو مقبياً في بالا Pella وربما في اسطاغيرا وإن كان قد كف عن تثقيف الإسكندر عندما اضطلع بأعباء الإدارة والحرب ، بضع سنوات . وفي سنة ٣٣٦ خلف الإسكندر أباه على العرش وسرعان ما بدأ حملاته في طراقيا وإليريا ، ثم في بلاد اليونان . ولم يأت عام ٣٣٥ حتى أصبح سيد بلاد اليونان ، فشرع يستعد لغزو آسيا ، ذلك الغزو الذي أنفق فيه بقية حياته القصيرة . وفي ذلك العام تأهبت مقدونيا للقتال ، فغدت مكانا غير ملائم للباحث ، وهذا ما حمل أرسطو على العودة إلى أثينا . فكيف كان وضعه هناك ؟ لقد قضى في الأكاديمية عشرين سنة من شبابه (من سن ١٨ إلى سن ٣٨) طالباً وزميلاً وصديقاً . وها هو ذا ، بعد مضي اثنتي عشرة سنة ، يعود إلى أثينا في ركاب الجيش المقدوني ، فلم يرحب به بداهة جميع الأثينيين ، وإنما رحب به زملاؤه .

وعلى أية حال لم يستطع أرسطو العودة إلى مدرسته القديمة ، فأسس مدرسة جديدة في حيّ آخر من أحياء المدينة . كانت الأكاديمية تقع في الشمال الغربي للأسوار خارج بوابة ديبيلون ، وأما الليكيوم فقد أقيمت في شرق الأسوار على مقربة من الطريق المؤدى إلى مراثون (٥٤) . وكان في وسع المرء أن يشاهد من حدائق الليكيوم جبل ليكابيتوس في الشمال ونهر اليسوس في الجنوب . كانت الليكيوم أيكمة مقدسة موقوفة على عبادة الإله أبوللون ليكيوس (الإله الذئب) واشتق اسمها من اسم هذا الإله . وفي مثل جو أثينا الدفء كانت معظم الدروس

تلقى في الفضاء تحت الأشجار أو تحت أحد الأروقة . وقد يجلس المعلم وتلاميذه فترة وبعدئذ يمشون ذهاباً وجيئة، ومن ثم جاءت تسميتهم « بالمشائين » .
وهناك فروق كبيرة بين معهدى أفلاطون وأرسطو. قضى أفلاطون نصف حياته مديراً للأكاديمية وعميدها الثقة، وأسس أرسطو الليسيوم في الطرف الآخر من المدينة بعده باثنتين وخمسين سنة ، وأدارها ثلاثة عشر عاماً فقط (لا أربعين عاماً كأفلاطون) ، وكان معهد أفلاطون ابتكاراً عظيماً، وخبرته بالتدريس ضئيلة نسبياً . لكن أرسطو كان في سن الخمسين عندما فصح الليسيوم، واكتسب خبرة كبيرة بالرجال والطلاب في أسوس وبالا . وبات أفلاطون يحلم دائماً بالصلة الوثيقة بين ملك عظيم وفيلسوف كبير ، ولكن حلمه لم يتحقق . ولقى أرسطو ، على النقيض من ذلك ، تأييداً من الإسكندر ، أقوى ملك في العالم القديم ، وقد منحه إعانات مالية (وربما كان ذلك من باب الدعاية لمقدونيا) ، كما أمد المتحف ، وهو جزء من المدرسة الجديدة ، بعينات من النباتات والحيوانات من كل نوع ، وهو أمر لا يقل أهمية عن المال . وكان في وسع أرسطو دائماً أن يحصل من سيده على أي شيء يحتاج إليه لجعل التعليم واقعياً مجدياً .

هذه الحقيقة توضح الفرق الجوهرى بين الليسيوم والأكاديمية . فلم يكن المهم هو استطاعة أرسطو الحصول على عينات عند احتياجه إليها . بل كان المهم احتياجه فعلاً إليها ، على حين أن أفلاطون لم يكن ليحفل بها . وبينما قنع أفلاطون بالمثل الخالدة الأبدية ، اهتم أرسطو بالأشياء المحسوسة . ومعلوماتنا عن تعليم أرسطو طفيفة. يحدثنا أولوس جيليويس (Aulus Gellius) (النصف الثاني من القرن الثاني) أن أرسطو كان يلقي نوعين من الدروس، صباحية للتلاميذ (esoterica, acroamatica) ومساوية للجمهور (exoterica) . وروايته صادقة في جملتها وإن كان شاهداً من عصر متأخر . ففي كل مدرسة تقريباً توجد دروس مباحة للجمهور ودروس غير مباحة ، لأن كلا النوعين يستجيبان لارغبات طبيعية .

واختص كل من المدرستين بالفلسفة ، غير أن الأكاديمية عنيت بالميتافيزيقا أو العلوم الإلهية حتى في معالجتها لموضوعات عملية كالتربية والسياسة .

وأما الليكيوم فكانت مدرسة فلسفية بمعنى آخر سنحدده فيما يلي . وقد اهتم أرسطو بالمنطق والعلم ، وبفضل توجيهه غدت الليكيوم معهداً للبحث الفردي والبحث الجماعي أيضاً . فأكاديميات العلوم ، تسمية خاطئة ، وأجدر بها أن تسمى « ليكيوم » . ولكن اللغات لا ضابط لها ولا يستطيع أحد أن يتكهن مطمئناً بما يتول إليه بمرور الزمن معنى بعض الكلمات ، أصلية كانت أو دخيلة .

وقد راجت كلمة « ليكيوم » رواج كلمة « أكاديمية » في جميع اللغات الغربية تقريباً . ففي فرنسا تستعمل للدلالة على جميع المدارس الثانوية التابعة للدولة ، كما حظيت في الولايات المتحدة ببعض الرواج بمعنى جمعيات حرة لإلقاء المحاضرات والمناظرات وإقامة حفلات الموسيقى والسمر من كل نوع . لكن مع اختلاف الأكاديمية عن الليكيوم بقدر اختلاف مؤسسيهما ، لا ينبغي أن نغالي في تصوير هذه الاختلافات ، بل لا ينبغي أن ننسى ما بينهما من أوجه شبه ، فقد كانت كل منهما معهداً للدراسات العليا المجردة عن الهوى ، وكان رئيس المعهد الثاني خريجاً نابهاً في المعهد الأول ، ولا يستبعد أن التلاميذ تنقلوا بين المعهدين أو استمعوا ، إن كانوا من التلاميذ اليقظين ، إلى المحاضرات في كليهما . ويكشف تاريخ المعهدين عن أمثلة كثيرة تدل على تأثير كل منهما في الآخر . فلم يكن ثمة ما يحول دون مناقشة مؤلفات أفلاطون في الليكيوم أو مؤلفات أرسطو في الأكاديمية . وكثير من شراح العصور التالية علقوا على مؤلفات كل من أفلاطون وأرسطو .

ومع ذلك فهذان الرجلان يمثلان أسلوبين متناقضين من التفكير ، يستوعبان جميع الاحتمالات حتى قيل إن كل إنسان مفكر إما أن يكون على مذهب أفلاطون أو على مذهب أرسطو . وهذا الكلام لا يقوم عليه برهان قاطع ، لكن من العجيب أنه قيل .

سنسرد الآن تاريخ الليكيوم في عهدها الأول ، كما سردنا من قبل تاريخ الأكاديمية ، والسبب واحد . إن الإنسان لا يستطيع أن يعرف كائناً إلا عندما يكون حياً متغيراً ، ولا يستطيع أحد أن يعرف كيف كان حال الليكيوم دون أن

يدرس تطورها . وقد لا يخلو هذا الكلام من تناقض لأن أرسطو لم يكن في وسعه أن يتكهن بمصير الليكيوم بأكثر مما يستطيع والد أن يتكهن بمصير أبنائه ، أو مصير ذريته .

لم تدم رئاسة أرسطو لمدرسة الليكيوم سوى ثلاث عشرة سنة ، وقرب نهاية حياته كان هناك رجلان جديران بأن يخلفاه ، وهما يوديموس الرودسى ، وثيوفراستوس الأريسي . ويحدثنا أولوس جيلديوس^(٥٥) أن أرسطو كان يؤثر الأخير متمثلاً بنبيلد رودس وبنبيد لسبوس « كلاهما جيد ولكن نبيلد لسبوس أحلى مذاقا (hedion ho Lesbios) . خلفه إذن ثيوفراستوس ، وفي وسعنا أن نسميه بالمؤسس الثاني لليكيوم ، لأنه رأسها ثمانية وثلاثين عاما (٣٢٣ - ٢٨٦) ، وأتم تنظيمها . وقد أوصى بجزء من أملاكه للمشرفين عليها ، مع تعليمات محددة عن استغلال ريعها ، ولكنه وهب مكتبته لنيلديوس . وخلف ثيوفراستوس ستراتون Straton اللامبساكى (النصف الأول من القرن الثالث ق.م.) ، فرأسها تسعة عشر عاما (٢٨٦ - ٢٦٨) ، وبذلك اكتمل العصر الذهبي لليكيوم . وأما الرئيس الرابع . وهو ليكون الطروادى Lycon of Troas ، فظل رئيسها أربعة وأربعين عاما (٢٦٨ - ٢٢٥) ، وهي مدة تدهور بالقياس إلى سابقها . ولم يخجل ليكون بالعلم ، بل قصر اهتمامه على الأخلاق والبلاغة . ويمدنا ديوجنيس اللائرسى^(٥٦) بمعلومات طريفة عن الرؤساء الأربعة الأول لليكيوم ، ذاكراً النص الكامل لوصاياهم ، ولا بد أنه استقى تلك الوثائق المدهشة من مصدر واحد . وتاريخ المدرسة الشهيرة بعد عهد ليكون ملئ بالثغرات ، وإن لمعت فيه بعض أسماء أهمها أندرونيكوس الرودسى (النصف الأول من القرن الأول) ، الذى ازدهر نشاطه فى أثينا حوالى ٨٠ ق . م . ، وكان الرئيس العاشر لليكيوم بعد أرسطو .

ولا ينبغي أن يقتصر تاريخ مدرسة الليكيوم على ذكر نشاط رؤسائها ، بل ينبغي أن نذكر بعض مساعديهم ، وألا نغفل التأثير المتبادل والتعاون أحيانا مع رجال الأكاديمية . ففى أثناء رئاسة أرسطو لليكيوم كان رئيس الأكاديمية ، وهو الثالث فى الترتيب ، صديقه كزينوكراتيس الحلقدونى ، ومن تلاميذه

ثيوفراستوس ويوديموس وأريستو كسينيوس التارنتى وديكاريارخوس الميسيني وكليارخوس السولى . وكان من بين تلاميذ ثيوفراستوس ديميتريوس الفاليرى الذى أسس مكتبة الإسكندرية فيما بعد .

وفقدت مدرسة المشائين شخصيتها بعد عهد أندرونيكوس ، ولم يعد أعضاؤها مشائين خالصاً بل غدوا رواقيين ، وأفلاطونيين ، وأفلاطونيين محدثين . ولم يكن كبار رجال الفكر من أمثال پاناثيتيوس الرودى (النصف الثانى من القرن الثانى ق . م .) ، وفوسيدونيوس الأفاى (النصف الأول من القرن الأول ق . م .) ، وبطلميوس (النصف الأول من القرن الثانى) ، وجالينوس (النصف الثانى من القرن الثانى) مشائين إلا بقدر محدود ، فقد درسوا بعض مؤلفات أرسطو وتابعوا بعض اتجاهاته .

وبابتداء القرن الثالث يدور الكلام على الشراح لا على رؤساء الليكيوم . ومن أوائل أولئك وأعظمهم الإسكندر الأفروديسى (النصف الأول من القرن الثالث) ، الشهير « بالشارح » ، وهو الذى رأس الليكيوم فعلا من سنة ١٩٨ إلى سنة ٢١١ . وأصبح من الضرورى عندئذ تخليص آراء أرسطو من التفسيرات الأفلاطونية أو الأفلاطونية المحدثة . وتضاءلت أهمية الليكيوم وأصبحت الأكاديمية أهم مدرسة فلسفية فى أثينا خلال القرون الخمسة الأولى بعد المسيح حتى سنة ٥٢٩ ، وظلت وحدها قائمة ومحتفظة بكيانها الإدارى ، وفقدت كيانها الفلسفى ، ونحا اتجاهها الفكرى نحو الأفلاطونية المحدثة ، وإن اقترن باتجاهات كثيرة أخرى . لقد اختفت الليكيوم وغدت الأكاديمية مدرسة للفلسفة الوثنية .

الشراح الأوائل :

ليس تاريخ فكر أرسطو استعراضاً لتاريخ الفلسفة فحسب ، بل لتاريخ العلم أيضاً ، على الأقل حتى القرن الثامن عشر . ولا نستطيع أن ندخل فى تفاصيل ذلك دون استطراد طويل . وبهذه المناسبة تجدر بنا الإشارة إلى أن ما يجعل تاريخ العلم أمراً شاقاً هو عدم استطاعتنا تقدير أهمية أية مرحلة من مراحلها إلا فى ضوء كل ما حدث قبلها وبعدها . وهذه مهمة شاقة جداً .

وقد شرحنا ضمناً في « المقدمة » سيرة أرسطو كلها في العصور القديمة والوسيطه . ولا مناص هنا من أن نكتفي بعرض إجمالي سريع . استمر تأثير أرسطو لا عن طريق المترجمين والشرح فحسب ، بل عن طريق الفلاسفة ورجال اللاهوت ورجال العلم الذين لم يجدوا مفرّاً من الالتقاء به في كل خطوة ، واضطروا إلى حنى الرأس له أو محاربهه .

وقد سبق أن أشرنا إلى الإسكندر الأفروديسى « الشارح » ، ولكنه لم يكن أول الشراح . وكان أندرونيكوس الرودى (النصف الأول من القرن الأول ق . م .) ، أول ناشر لأرسطو ، وهو بدهاه ممهد الطريق . وأعقبه في النصف الثانى من ذلك القرن بوثيتوس الصيدى ، وأريستون السكندرى ، وكسينارخوس السيلوكى (قيليقيّة) ، ونيكولاوس الدمشقى (النصف الثانى من القرن الأول ق . م .) ، وظهر فى القرن الميلادى الأول الإسكندر الآبجى ، معلم نيرون الإمبراطور (٥٤ - ٦٨) . وأما فى القرن الثانى فقد ظهرت طائفة كبيرة من الشراح : بطلميوس خينوس السكندرى (ازدهر نشاطه فى عصر تراجان ومادريان الإمبراطورين من سنة ٩٨ إلى سنة ١٣٨) . وهو مؤلف كتاب « العالم » (De Mundo)^(٥٧) ، واسباسيوس ، وأدراستوس الأفروديسى (النصف الأول من القرن الثانى) ، وبطلميوس (النصف الأول من القرن الثانى) ، وجالينوس (النصف الثانى من القرن الثانى) ، وأريستوكليس المسينى فى صقلية وهرمينوس . وكان الأخير معلماً للإسكندر الأفروديسى الشهير (النصف الأول من القرن الثالث) ، الذى وصلت إلينا شروحه الوافية فى أصلها اليونانى أو فى ترجمات عربية .

وبالإسكندر الأفروديسى يبدأ لدارسى فلسفة أرسطو عصر جديد تلعب فيه أسماء بورفيرىوس السورى (النصف الثانى من القرن الثالث) ، وأناطوليوس السكندرى (النصف الثانى من القرن الثالث) ، وثيميستىوس البافلجونى (النصف الثانى من القرن الرابع ، وفى النصف الأول من القرن الخامس) وسيريانوس السكندرى رئيس الأكاديمية ، وفى القرن السادس لمعت أسماء داماسكيوس الدمشقى (النصف الأول من القرن السادس) ، ودورس العربى ، وأمونيوس

ابن هرمياس (النصف الأول من القرن السادس) ، وتلميذه اسكليبيوس الترابي (النصف الأول من القرن السادس) ، وسمبليقيوس القليلقي (النصف الأول من القرن السادس) . الذى ازدهر نشاطه فى أثينا وفارس ، ويوحنا فيلوبونوس السكندرى ، وهو أعظمهم جميعاً (النصف الأول من القرن السادس) . ومن رجال هذا القرن عينه بوثيتيوس الرومانى ^(٥٨) ، أول مترجم وشارح لاتبنى (النصف الأول من القرن السادس) . ومن بين دارسى فلسفة أرسطو من اليونانيين بعض اللامعين فى العصور التالية . مثل استيفانوس السكندرى (النصف الأول من القرن السابع) ، الذى ازدهر نشاطه فى القسطنطينية ، ويوستراتيوس النقي (حوالى ١٠٥٠ - ١١٢٠) . وميخائيل الافوسى ، تلميذ ميخائيل بسيللوس (النصف الثانى من القرن الحادى عشر) ، وسوفونياس (النصف الثانى من القرن الثالث عشر) .

ثم انتقل تراث أرسطو من طريق جانبي ، على يد الفلاسفة العرب : الكندى العربى (النصف الأول من القرن التاسع) ، والغارابى الفارسى وقيل التركى (النصف الأول من القرن الحادى عشر) ، ولا سيما ابن رشد القرطبي (النصف الثانى من القرن الثانى عشر) ، المعروف للعالم الغربى باسم أفيروس . وقد تأثر انقديس توماس الأكوينى وغيره من علماء الكنيسة الكاثوليكية بشروح ابن رشد الجديدة على أرسطو ، وسيطرت تفسيراتهم المسيحية على الفكر فى العصور الوسطى . ولسنا فى حاجة إلى إكمال تلك القصة ، فبقيتها معروفة .

ومما ينبغى ألا يغيب عن البال أن عدداً ضخماً من العلماء قاموا بشرح آراء أرسطو ، أولاً باللغة اليونانية ، وبعدها بالعربية ، وأخيراً باللاتينية ، واللغات المحلية فى غرب أوروبا ، واشترك فى التفسير شراح وثنيون ، وبعدها مسلمون ويهود ومسيحيون . كان أرسطو فى نظر الشراح المسيحيين الأستاذ الأكبر أو « أستاذ الذين يعلمون » ^(٥٩) ، إذا قال . فقولته الحججة البالغة تنعقد إزاءها الألسنة ، وهذا عطل الفكر وعاقه عن التقدم . ويبدأ تاريخ العلم الحديث بالثورة على أرسطو .

بعض مظاهر فلسفة أرسطو :

تعرض دراسة سيرة طويلة صعب كثيرة ، ينشأ أكبرها عن تغير الموضوع بمرور الزمن . فأرسطو كما عرفه شيشرون لم يكن هو أرسطو الذى شرحه الإسكندر الأفروديسى . ولم يقرأ الكندي فى القرن التاسع كتب أرسطو التى قرأها ابن رشد فى القرن العاشر ، أو أنهما قرآها وهما فى أحوال نفسية مختلفة ، وليس أرسطو الذى امتدحه القديس توماس الأكوينى فى القرن الثالث عشر هو أرسطو الذى ذمه راموس فى القرن السادس عشر أو جاسندى فى السابع عشر . ولقد مرت أوقات بلغ فيها الانتصار لأرسطو والإنكار عليه مبلغاً أصبح معه النقد التزيه لمؤلفاته أمراً مستحيلاً . والآن وقد خمد كل ذلك ، ولم يعد فى الإمكان إحيائه حتى فى المعاهد المختصة لدراسة فلسفة العصور الوسطى ، ففى وسعنا أن نبين أرسطو على حقيقته ، وأن نرى أن علمه أو حكمته لم تحط بكل شىء كما اعتقد بعض الناس ، وأنه لم يكن متعنتاً ولا مخرفاً كما اتهمه خصومه .

وسندرس فى الصفحات التالية آراء أرسطو العلمية وخدماته الجليلة للعلم ، لكن ينبغى الآن أن نحاول إظهاره كاملاً . ولعل أيسر السبل إلى ذلك هو مقارنة بأستاذه القديم أفلاطون . اقتضت ثقافة أفلاطون العلمية على الرياضيات والفلك ، على حين تركزت معظم ثقافة أرسطو فى النواحي الطبية . واتمنى أبوه نيقوماخوس إلى رابطة سكليبيوس ، فانتقلت التقاليد الطبية من الأب إلى الابن مباشرة . ولعل أرسطو وهو صبي عاد المرضى فى رفقة أبيه أو عاونه فى إجراء العمليات الجراحية لهم . وعلى أى حال ، لم يكن هناك مناص من أن يعرف صبي نابه مثله الشىء الكثير من فم أبيه وأن يستوعب النظرية التجريبية بالذات . وربما يكتفى الرياضى — ولا سيما إذا كان عالماً فى منزلة أفلاطون ، متأثراً بنظرية الأعداد الفيثاغورية — بآراء استنتاجية عن الوجود . ولكن الطبيب سرعان ما يدرك أنه ينبغى ألا يسرف فى افتراضاته وتكهناته ، وإنما ينبغى أن يلاحظ ويدون ملاحظاته ويتروى فى استنتاجاته . كان أفلاطون خيالياً مرهف الحس^(٦٠) ،

على حين كان أرسطو ذا عقلية عملية من الصعب التغلب عليها . لكن يجب ألا ننسى أن أرسطو بدأ حياته الفكرية تلميذاً لأفلاطون ، ولم يتخلص قط تخلصاً تاماً من بعض الأوهام الأفلاطونية . وفي رأي أن هذا دليل عظمته ، فلم يكن قط يقينياً كأستاذه ، ومع هذا أحس بأسرار الحياة إحساساً عميقاً ، حتى إنه ظل إلى حد ما ، أفلاطونياً في معارضته لأفلاطون المتزايدة على مر الأيام .

وقد ألم أرسطو بطرف من الطقوس السرية في الديانة اليونانية ، وقارن كأفلاطون المعرفة الحدسية بالاطلاع على العبادات السرية ، ولكنه تجنب التهويلات الصوفية ، وقدّر قيمة التحمس الديني والطقوس الغامضة والشفافية من العزل ، بيد أنه حاول أن يصوغ منها مذهباً عقلياً من الممكن إيصاله للغير . وأدرك وجود نوعين من المعرفة (الحدسية والعقلية) ، ونوعين من الحياة النفسية (الفكرية والعاطفية) . لكن الحياة العاطفية ، مع أهميتها ، ينبغي تنظيمها بضبط النفس بدل إثارتها بالطقوس الصاخبة . ويحدثنا كليلارخوس السولي . أحد تلاميذ أرسطو ، أنه اقتنع بعد حضوره إحدى جلسات التنويم المغناطيسي . بإمكان انفصال الروح عن الجسد^(٦١) . وذلك دليل على اتساع أفقه . ولكنه حرص دائماً على أن يفسر الأشياء نفسيراً علمياً . وكان ما تبقى في نفسه من إيمان بالباطنية أشبه بإيمان كبار العلماء في كل عصر ، لا ينسبهم تواضعهم وفطنتهم أن مشاكل الكون معقدة تعقيداً لا حد له^(٦٢) .

وقد توصف إحدى نظرياته الأساسية ، وهي التي يعبر عنها بالنظرية الغائية ، بأنها صوفية ، لأنه لا يمكن إثبات صحتها إثباتاً قاطعاً . ويتمثل في هذه النظرية ما بين أفلاطون وأرسطو من علاقة ، لأنها مأخوذة عن نظرية أفلاطون عن « المثال » أو « الصورة » التي تسبق وجود « الهيويل » ، والتي تتولد عنها هذه توالداً ميثافيزيقياً . يرى أرسطو أن « الصورة » هدف لا سبيل إلى تحقيقه ، ويقرن أفلاطون التغير بالفساد ، ولكن أرسطو ، على النقيض من ذلك ، يتصور التغير على أنه حركة سائرة إلى الكمال . وينكر أفلاطون إمكانية التطور ، وأرسطو يسلم بها . فالأشياء تتطور بسبب القوى الكامنة فيها ، وهي تتغير لتبلغ الكمال

أو تقرب منه . والمثال أو الصورة كامنة في الشيء (كالقوة النامية في الجنين) ، لا خارجة عنه . ومصير الشيء مقرر بماهيته الخفية غير المدركة . ويسير التطور سيره لا بسبب علل مادية تؤدي إلى نتائج طبيعية ، تدفعها بقوة من الخلف ، بل بسبب علل غائية تجذبها قدماً بقوة من الأمام . وجميع الكائنات موجهة إلى غاية (كامنة فيها) . ونحوها مرسوم بغاية . ويتحقق العالم تدريجياً بغاية علوية ، أو سمها عناية إلهية .

وأدرك أرسطو أن الآلية mechanism والغائية مظهران يكمل أحدهما الآخر ولا سبيل إلى انفصالهما . وفي دراستنا للطبيعة ينبغي أن نبحث عن تفسير آلى أو علة رئيسة ، فتارة نجد العلة الآلية أكثر وضوحاً وتارة أخرى تنضح العلة الغائية . ولما كانت الآلية على أيامه (مثال ذلك الآلية الفسيولوجية) أمراً بعيداً عن التصور ، فلم يبق إذن سوى التعليل الغائى .

مثل هذا التفسير فى نظر عالم مجرب من علماء اليوم ضرب من اللغو . وسيقول إنه من العبث أن نسأل « لماذا » ، ويكفى أن نجيب عن « كيف » إجابة دقيقة بقدر الإمكان . وقد حاول أرسطو قبل الأوان أن يجيب عن « لماذا » ، مقدماً هذا السؤال على غيره من الأسئلة . أكان أرسطو مخطئاً كل الخطأ ؟ لعله تعجل فى إثارته ، ولكن السؤال ليس عديم الجدوى ، فله قيمته الاستدلالية عند الوصول إلى نتائج تقريبية . وما يذكر لأرسطو بالفخر : ١ - أن نظريته الغائية أرقى بكثير من نظرية أفلاطون عن الصور أو المثل الأصلية ، ٢ - أن تعليلاته الغائية ، مع قصورها ، نافعة جداً ، فكل عالم يطبقها عن قصد أو غير قصد . فغاية العضو تعيننا على فهم تركيبه ووظيفته ، ٣ - إن أنصار مذهب تفسير الحياة تفسيراً حيويّاً يستعملون لغة غائية ، ولا يزال كثير منهم بيننا فن المستحيل التخلص من هذه النظرية التى تتفادى كل الضربات ، وتعود إلى الظهور فى صورة جديدة ، ٤ - وأخيراً ، إذا سلمنا بالعناية الإلهية . فلا سبيل لنا إلى إنكار الغائية .

وظواهر الطبيعة الغائية واضحة كل الوضوح ؛ أهى تقابل حقيقة باطنة

أم هي مجرد أوهاام ؟ يمكن وضع السؤال كالاتى : أصححجة حجة الغائية أم باطللة ؟ إن أرسطو أول من استعمل تلك الحججة وأولها أهمية كبيرة ، فن يكون آخر من يستعملها (٦٣) ؟ إن مذهب أرسطو الغائى هو أحد الأدلة على عبقريته .

وقد تضمن المذهب الغائى نظرية التطور ، وهو تطور نحو غاية ، أى نحو التقدم . ولفهم الكائنات يجب أن ندرك كنهه غايتها . ونشورها ، وارتقائها . لقد طبق أرسطو هذه النظريات فى دراسة التاريخ الطبيعى لا التاريخ الإنسانى ، ولولا ذلك لكان فى طليعة مؤرخى العلم .

كان أرسطو أولاً وقيل كل شىء جامعاً لموسوعة ، وكان باستثناء ديموكريتيوس أول من قام بذلك . وقد حاول الفلاسفة الأوائل تفسير الوجود ، ولكن أرسطو الذى شاركهم فى هذا المطمح ، كان أول من أدرك أنه ينبغى أن يسبق هذا التفسير بقائمة تفصيلية مع وصف كامل لمحتوياتها بقدر الإمكان . وهو لم يدرك فقط تلك الحاجة ، بل مثار العجب أنه سدها . ومؤلفاته فى مجموعها موسوعة تنتظم المعارف الميسورة . ومعظمها حصل عليه بنفسه أو بتوجيهه . ومن السهل أن يجد الإنسان ثغرات أو أخطاء فى تلك الموسوعة ، ولكن المثير للدهشة أنها كانت جيدة ، شاملة ، طويلة الأجل .

ويتضمن معنى تأليف موسوعة ما الاعتقاد بأن هناك نوعاً من الوحدة والنظام فى الوجود وأن تتسم معرفتنا به بنفس هذه الوحدة وهذا النظام . ويتحقق الوحدة بدراسة المبادئ الأولى (الفلسفة والإلهيات) ، ويتحقق النظام بالتصنيف السليم والوصف الدقيق .

وأما عن المبادئ الأولى ، فهناك نفس فى كل كائن حى ، وفى كل نفس شىء إلهى ، شىء متصل بالعقل المحض . والله موجود لأنه هو المبدأ الضرورى وغاية كل الكائنات ، والمحرك الأول . وكل حركة وكل حياة هى اندفاع هائل نحو الكمال ، نحو الله . وهذا الاندفاع غير واضح فى الكائنات الدنيا ، ولكنه يزداد وضوحاً فى البشر وفقاً لدرجة ذكائهم . وقد يؤدى ذلك كله ، أوجله ، إلى نشأة

اللاهوت الفلسفي والتصوف ، وقد أدى إليها مع الزمن ، ولكن واقعية أرسطو واعتمده كبحا جماع هذه الأفكار . وقد كان أرسطو هو السابق إلى تصنيف فروع العلم المختلفة ، إلى نظرية وإنتاجية عملية . وليس للفروع النظرية من هدف سوى إدراك الحقيقة وتأملها ، وهي تشمل الرياضيات والطبيعات والميتافيزيقا (وفي مقدمتها الفلسفة واللاهوت) ، والإنتاجية تشمل الفنون ، أما الفاسفة العملية فتعنى بتنظيم السلوك الإنساني ، وفرعاها الرئيسان هما الأخلاق والسياسة . وقد ترك هذا التصنيف مع قصوره أثرا عميقاً في تاريخ الفلسفة والعلم إلى يومنا هذا (٦٤) .

كانت موسوعة أرسطو بالقياس إلى موسوعاتنا عملاً بدائياً جداً ، فقد اعتقد أنها تم بجمع التعاريف (وهذا هو سبب استعمال تركيب « قائمة تفصيلية » ، من قبل) ، وكانت هذه التعاريف لفظية لا تفسيرية بالمعنى الصحيح . ولئن بدا لنا هذا العمل غير كاف إطلاقاً ، فلا يغبين عنا وجوب البدء بمثل هذه القوائم التفصيلية ، ثم تفسيرها تدريجياً تفسيراً معنوياً عميقاً (٦٥) .

ومن الميسور أن نعرف الشيء معرفة علمية إذا عرفنا علاه ، وعلته الرئيسة هي ماهيته (٦٦) . فعلينا أن نفحص أنواعاً متباينة من الشيء الواحد ، ومعنى هذا إحصاء خواصه ووصفها . فالقضايا العامة لا تثبت بالاستدلال بل تستقرأ من ملاحظة أنواع شتى من الأشياء . وقد جمع أرسطو وزملاؤه طائفة كبيرة من الملاحظات وحللوها ووصفوها بدقة . ثم فسروها تفسيراً لبقاً . فكان جانب كبير من مصطلحاتهم العلمية ملائماً للغرض ، ولا يزال مستعملاً في اللغات الحديثة . وإن كانت المصطلحات في معظم الأحيان متكلفة ، لكن من المؤسف أن البحث عن ماهية الأشياء مهد الطريق لعلوم ما وراء الطبيعة ، كما كانت التفسيرات غالباً لفظية ، والإحصاءات غير كاملة . ولكن أرسطو لم يدرك هذا النقص ، فكثيراً ما ختم إحصاء معيناً بقوله « وليس وراء ذلك شيء آخر » وظن أنه أقرب إلى الهدف مما كان في الواقع ، أو مما كان ميسوراً له . وهذا أمر طبيعي ، فإن مدرسته قامت بالشيء الكثير حتى ليلتمس لها العذر فيما توهمته ، وأما توهم حقائق كاملة فأمر لا يغتفر اليوم .

لقد حظيت تلك الفلسفة بالقبول لأنها متسمة بروح الواقعية والاعتدال ، وكان حب أرسطو للنظام والوضوح والترتيب و «الطريق الوسط » يستهوى العقل اليونانى . وعندما ازداد الشعور الدينى بعد انقضاء أيام الوثنية لم يعد الأمر يتطلب سوى التوفيق بين فلسفته وبين العقائد اللاهوتية لدى الأمم الأخرى ، حتى تبقى لفلسفته الحظوة لدى الجماهير ، وقد قام بمحاولة هذا التوفيق مختلف العلماء ، أمثال ابن رشد من المسلمين ، وابن ميمون من اليهود، والقديس توماس الأكوينى من المسيحيين .

وقد قيل أحيانا إن فلسفة أرسطو ، بالقياس إلى الاتجاهات الصوفية ، تعوزها الإنسانية ، والرقه ، والمثل نفسها . وهذا كلام مضلل . فالمثل الأعلى لفلسفته هو المثل العلمى ، أى اكتشاف الحقيقة ، وهو مثل بعيد دائماً عن مرمى الناس ، ولكنه نبراس وسط الظلام . ومنهج أرسطو فى العلم بالقياس إلى منهجنا قاصر كل القصور ، ولكن ذلك كان أمراً لا محيص عنه . وقد آتهم بأنه من متوسطى المفكرين بلخوجه إلى الحلول الوسطى والتوفيق بين المتناقضات ، وبعبارة أخرى لأنه كان مجرداً من المثل . وذلك فيما أرى بعيد عن الإنصاف ، كل البعد . فقد حاول جهده الوصول إلى الحقيقة ، ولم يكن فى وسعه أن يدرك بوضوح وقوة ، كما ندرك اليوم ، أن الحقيقة (العلمية) لا سبيل إلى بلوغها ، وإن كنا ندنو منها دائماً .

الأرجانون : The Organon

من الغريب حقاً أن أرسطو لم يدخل المنطق فى تصنيفه ، واعتبره بمثابة مقدمة خارجة للفلسفة والعلم . ومع هذا فقد خصص له طائفة من المباحث تتألف منها مداخل رائعة لسائر مؤلفاته .

هذه المباحث ، وهى لا تقل عن ستة (المقولات ، العبارة ، التحليلات الأولى ، التحليلات الثانية ، الجدليات ، تنفيذ الحجج السفسطائية) تسمى « الأرجانون » البيلوسة وهى البحث الفلسمى ، لا وسيلة مثلها أهم منها . هذا الكتاب

وإن كنا الآن لاندرس المنطق فيه ، ومن اليسير أن نكشف مواطن الضعف فيه ، وفي مقدمتها حشوه اللفظي - مؤلف مدهش ، بل لعله أعظم مؤلفاته الكثيرة التي جعلته صاحب الفضل علينا، ولذلك فهو أبقاها على زمن. ابتكر أرسطو علم المنطق وكتب مباحثه الأولى . وهي مباحث تحار الألباب في تعقدها ودسامتها . وتتناول هذه المباحث بالتحخيص والتحليل مسائل كالمقولات العشر أو المحمولات (الجوهر ، الكم ، الكيف ، الإضافة ، المكان ، الزمان ، الوضع ، الملك ، الفعل ، الانفعال) ، والقضايا من حيث هي سالبة أو موجبة ، كلية أو جزئية ، وعكسها ، والقياس وصوره الصحيحة ، والبرهان عن طريق الاستدلال ، والاستقراء ، وأنواع المغالطات ، ومنهج التحليل المنطقي السليم ضد المنهج الجدلي (علم الكلام) . وكان السفسطائيون قد بحثوا جميع هذه المسائل من قبل أرسطو ، ثم بحثت بطريقة منظمة في الأكاديمية والليكيوم ، بيد أن أرسطو كان أول من جمع شتات هذه المسائل ليدرك الناس أهميتها من حيث هي مقدمات للعلوم ، وليمد العالم الغربي بوسيلته الفكرية الأساسية ، وهي مفتاح جميع أبواب البحث الفلسفي والعلمي .

ومن السهل إساءة استعمال هذه الوسيلة كما أساء علماء اللاهوت استعمالها ، وكما فعل ويفعل المناطقة المولعون بالمنطق لذاته ، بيد أننا لا نستطيع أن نلوم أرسطو على ذلك . وإيس ثمة شك ، من ناحية أخرى ، في أن صيته العريض ونفوذه الهائل ، في العصور الوسطى وبعدها ، كان إلى حد كبير يرجع إلى كتابه الأرجانون . ولما كان ذلك الكتاب يبحث في مسائل عقلية مجردة ، فقد أثر تأثيراً مزدوجاً في بعض قرائه بأن ثبط هممهم وبعث في نفوسهم الرهبة من مؤلفه . وكثيراً ما شاهدنا هذه الظاهرة المتناقضة في العصر الحديث - شاهدنا بعض من حار لهم في فهم مؤلفات عالم من علماء الرياضة يسلمون بصحة آرائه الفلسفية تسليماً أعمى (٦٧) . فقد حسبوا فيما يبدو ، أنه إزاء عجزهم عن فهم رياضياته ، ليس ثمة ما يدعوهم إلى محاولة فهم فلسفته ، فسلموا بصحة الأخيرة كما سلموا بصحة الأولى . وكان من الطبيعي أن يصبح مؤلف كتاب الأرجانون في رأي جمهور العلماء أستاذ العلوم جميعاً .

هوامش الفصل التاسع عشر

A. Meillet and Marcel Cohen, *Les langues du monde* (Paris, 1924), pp. 47, (١)
52 [Isis 10, 298 (1928)].

(٢) هذا إذا كان برديكاس الأول هو أوطم ، ولكنه يعتبر التاسع إذا كان كرانوس هو أول هؤلاء الملوك . وقد اتبعت في ذلك القائمة الواردة في :

A. M. H. J. Stokvis, *Manuel d'histoire, de généalogie et de chronologie de tous les états du globe* (3 vols.; Leiden, 1888-1893), vol. 2, pp. 448-450.

(٣) نقول بهذه المناسبة إن من الغريب ، أن أغلب الدكاتورين كانوا دخلاء أو أجناب ، مثال ذلك : فيليب المقدوني ، نابليون الكورسيكي ، محمد علي الألباني ، وهتلر النمساوي ، وستالين الجورجي .

(٤) سميت هذه الخطب « بالفيليبات » ، والصفة « فيلبي » في كثير من اللغات الأوربية مأخوذة عنها . وتستعمل هذه الكلمة للدلالة على الخطب السياسية التي تندد بمخمس بعينه وهي عادة مليئة بالظن . واستعملت بالذات للدلالة على خطب شيرون الكثيرة التي ألقاها ضد أنطونيوس . وقد تعرض لنكون ، وودروولسن وفرانكلين روزفلت من الحملات الخطابية العنيفة أو « الفيليبات » . (٥) لو أن فيليبيات معاصره ثيوبومبوس الحيوسي (النصف الثاني من القرن الرابع ق. م .) وصلتنا لمرقنا عن فيليب الشيء الكثير . وتناولت هذه الفيليبات (وهي غير خطب ديموستينس المشهورة) سيرة فيليب الثاني ، وفي الواقع تاريخ جميع بلاد الإغريق ، وتعتبر مكملة لتاريخ كسينوفون ، لأنها تناولت الفترة من عام ٤٦٢ حتى ٣٣٦ . وأسلوب الكتاب منمق أجوف ، ولكن ثيوبومبوس كان غزير المعلومات ، سليط اللسان . ويعتبر أحد واضعي أسس التاريخ النفسى ، ورائداً في هذا المضمار للمؤرخ تاكينوس (النصف الثاني من القرن الأول) . وهو لم يتعلق فيليب وإن كان في رأيه أعظم شخصية عرفها العالم ، بل صور نقائصه وحياته جلساته المنحلة تصويراً بشعاً . انظر R. H. Eyssonius, *Wichers, Theopompi Chii fragmenta* (308 pp.; Leiden, 1829). وعلى سبيل المثال ، انظر قصاصة رقم ٢٤٩ حيث يصف في عبارات مقدمة فساد بلاط فيليب .

(٦) خالكيس هي كبرى مدن يوبيا وتقع عند أضيق نقطة في مضيق يوريبوس وهو يفصل يوبيا عن بيوتيا في بلاد اليونان . وبلغ من ضيق المنطق عند خالكيس أن أنشئت عليه قنطرة سنة ٤١١ ق. م .

(٧) ألقى ديموستينس الفيليبية الأولى في سنة ٣٥١ والخطب الأوثنية الثلاث فيما بين سنة ٣٤٩ وستة ٣٤٨ ألقاها دفاعاً عن أولينثوس (في خالكيدكي) وكان قد هددها فيليب . ولم يكن في وسع أرسطو ألا يغض عن مصير مدينة قريبة جداً من مسقط رأسه ، ولكنه كان يحكم نشأته من أنصار الحزب المقدوني . وكان ديموستينس معاصراً لأرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢) .

(٨) Diogenes Laertios, v, 2 ، ترجمة ر. د. هيكس (R. D. Hicks) في مجموعة لويب الكلاسيكية (Loeb Classical Library)

(٩) رويت قصة أخرى يصعب تصديقها ، وإن كانت محتملة في :

I. ychnos (Uppsala, 1945), p. 253.

(١٠) الرسالة السادسة لأفلاطون موجهة إلى هرمياس وإيراستوس وكورسيكوس . نشرها ر. ج. بيورى (R. G. Bury) وترجمها في مجموعة لويب الكلاسيكية - أفلاطون ، المجلد ٨ (١٩٢٩) ، ص ٤٥٦ - ٤٦١ .

(١١) كانت أسوس تقع في أراضي هرمياس ، وكانت قلعة حصينة وميناء في مواجهة لسبوس ، وفيها ولد كليانثيس الرواقى (النصف الأول من القرن الثالث ق . م .) .

Diogenes Laertius, v, 1. (١٢)

P. Studniczka, *Das Bildnis des Aristoteles* (35 pp., 3 pls.; Leipzig, 1906). (١٣)

ول فيها بحث في *Lynchos* (1945), pp. 249-256 . ومقال ستودينشكا مثل واضح على المذلة والفلة ، ولكنه خدع كثيرين من فقهاء اللغة ، ومن بينهم ويجر (انظر كتابه بعنوان أرسطو ص ٣٢٢ ، هامش ١٦) .

Diogenes Laertius, v, 11-16 (١٤)

(١٥) يجب أن نعيد ما قلناه من قبل وهو أنه من العسير تحديد مدى ذلك الوقت . فقد يلتحق شخص بعمرة ويظل عضواً مالياً لها مدة من الزمن ، ثم يفتر تحمسه ولا يحضر إلا قليلاً من اجتماعاتها ويعتقد كيف عن الحضور ، وأخيراً يعلن تمزده عليها . فهل هناك سبيل إلى معرفة عدد فترات الولاء والتمرد ، وحتى على وجه الثقة يتقبل الشخص من الواحة إلى الأخرى .

(١٦) للباحث الرائد في مؤلفات أرسطو الأولى هو فرفر ويجر (Werner Jaeger) وكتابه الذى مهد به الطريق ظهر في برلين عام ١٩٢٣ . وإذا أشرنا إليه فإننا نشير إلى الطبعة الإنجليزية المترجمة عن الألمانية بعنوان :

Aristotle. Fundamentals of the history of his development (410 pp.; Oxford : Clarendon Press, 1934).

راجع أيضاً

Ettore Bignone, L'Aristotele perduto e la formazione filosofica di Epicuro (2 vols., Floreace : Nuova Italia, 1936).

Joseph Bidcz, *Un singulier naufrage littéraire dans l'antiquité* (70 pp.; Brussels : office de Publicité, 1943) [*Isis* 36, 172 (1946)].

وقد نشر فالتين روز (Valentin Rose) القصاصات بعنوان :

Aristotelis fragmenta qui ferebantur librorum (Leipzig 1886)

كما نشرها ريتشارد فالزرو (Richard Walzer) بعنوان :

Aristotelis dialogorum fragmenta in usum scholarum slegit (Floreace: Sansoni, 1934).

(١٧) أطلق عليها شيشرون (النصف الأول من القرن الأول ق . م .) اسم *exotericos* في إحدى رسائله إلى أتيكوس عام ٧٠٠ من تأسيس المدينة (روما) أى سنة ٥٤ ق . م . :

Epistolae ad Atticum, iv, 16

(١٨) كان يوديموس القبرصى ، تلميذ أفلاطون ، عضواً بالأكاديمية ، واستعان به ديون في ثورته على ديونيسيوس الأصغر . وقتل يوديموس في إحدى المعارك التى نشبت حول سيراكوز عام ٣٥٤ . وهو غير يوديموس الرودى (النصف الثانى من القرن الرابع ق . م .) الذى كان أصغر منه سناً وازدهر نشاطه حول سنة ٣٢٠ وتلمذ لأرسطو ونشر فيما يرجح « الأخلاق إلى يوديموس » .

(١٩) *Protrepticus eis philosophian* أى الحث على (دراسة) الفلسفة .

(٢٠) كان فيليب الأوبوسى (النصف الأول من القرن الرابع ق . م .) ، كأرسطو ، تلميذاً

لأفلاطون . وإعله كان أصغر من أرسطو أو أكبر منه سنّاً . ولا ندري إن كانت « الإينوييس » قد كتبت بعد « البروتربيتيكوس » مباشرة ، أم قبلها .

(٢١) كلمة Hortensius هي المرادف اللاتيني لكلمة protrepticos اليونانية ، ولكنها لم تستعمل في غير ذلك المكان ، والكلمة المستعملة هي hortatorius

St. Augustine, Confessions, III, 4; viii, 7. (٢٢)

(٢٣) نحن المحدثين الذين نستطيع أن نقرأ اليوم تاريخ التغييرات الفلسفية المنتظمة التي حدثت خلال ثلاثة آلاف سنة ، لا يسعنا إلا أن نفكر ، كما فكر أرسطو ، عندما كان محدثاً ، في هذا التكرار الدوري .

(٢٤) المصطلح الفني هو endelechia بمعنى استمرار أو دوام وقد خلط الناشر بينه وبين كلمة entelechia بمعنى الحقيقة التامة أو الكاملة . وهي ليست واردة في فهرست بونيتز ! Bonitz'Index aristotelicus أنظر . pp. 33-37. Bidez, *Un singulier naufrage littéraire*,

(٢٥) اختلفت آراء أرسطو الأخيرة في النفس كل الاختلاف عن آرائه الأولى الأفلاطونية . وانتهى آخر الأمر إلى أن النفوس ، وهي « صور » الأجسام المادية ، لا تبقى بعد الأجساد إلا بقدر ما يبقى البصر بعد فقد العين . على أن في نفس الإنسان شيئاً يأتيها من الخارج ، وهو جزء من العقل المحض . وعند ما يموت الإنسان يعود هذا الجزء إلى العقل الكلي (الله) ، ويندمج فيه . فهناك إذن نوع من الخلود غير جسدي .

(٢٦) قصاصة رقم ١٠ ، نقلها إلينا سكستوس امبيريكوس (النصف الثاني من القرن الثاني) .

Jaeger, Aristotle, p. 166 (٢٧)

(٢٨) كما فعل كلود برنارد . فإلى عهد قريب جداً كان معظم التعليم الذي يتلقاه في المدارس الثانوية من يتطلعون إلى أن يكونوا من رجال العلم مقصوراً على الدراسات الإنسانية . ومن ثم فالتماذج الأدبية هي التي أذكت طموح شبابهم ولم تنج عبقريتهم العلمية وجهة صحيحة إلا مؤخراً . فكانوا إلى حد كبير في الوضع الذي كان فيه أرسطو .

(٢٩) كان ناليوس تلميذاً لأرسطو وثيوفراستوس ، وابن كورسيكوس ، صديق أرسطو وزميله في أسوس .

(٣٠) أرقام المجلدات تشير إلى الطبعة الإنجليزية ، وأما أرقام الصفحات فتشير إلى طبعة بكر .

(٣١) الحس والمحسوس . الذاكرة والتذكر . النوم واليقظة . الأحلام . تعبير الرؤيا . طول العمر وقصره . الشباب والشيوخوخة . الحياة والموت . التنفس .

Frederic George Kenyon (1833-), Aristotle on the Constitution of (٣٢)

Athens (British Museum, 1891, third and rev. ed., 295 pp., British Museum, 1892).

وقد نشر المتحف البريطاني صورة طبق الأصل للبردية كلها في سنة ١٨٩١ . ويجد القارئ قائمة وافية بالمراجع في طبعة كينيون .

Michael Stephanides, "Aristotle as a poet", Practice of the Academy of Athens (٣٣)

pp. 249-253. (1950) وهو باليونانية الحديثة .

ويقول الأستاذ استفانيدس إن كتاب « العالم » قد صيغ في أسلوب بالغ الأناقة ، وإن الإسكندر الذي قدم له الكتاب كان فيما يحتمل هو تلميذ أرسطو ، الإسكندر الأكبر . وهذا لا يتفق مع ما انتهى إليه فيلهلم كابيل (Wilhelm Capelle) في (1905) Neue Jahrbücher 15, 529-568 من أن كتاب « العالم » يستند إلى مبشرين لبوسيدونيوس (النصف الأول من القرن الأول ق . م .) ومن

الطريف أن دانييل هينسيوس ، اللغوي الهولندي المعروف ، اتخذ من وضوح أسلوب كتاب « العالم » حجة لتفنيد نسبته إلى أرسطو ، فهو يقول « إن البحث الذي نحن بصدده يخلو من ذلك الغموض المهيّب الذي يصدّم البهجة في مؤلفات أرسطو (الفقرة كما اقتبسها فرانسوا أراجو في تايينه لجاي لوساك (Oeuvres, vol. 3, p.53.

(٣٤) المجلدات ١ - ٢ (١٨٣١) : النص اليوناني ، المجلد ٤ (١٨٣١) : التراجم اللاتينية ، المجلد ٤ (١٨٤٦) : الحواشي اليونانية ، المجلد ٥ (١٨٧٠) : الفهرس .
(٣٥) من المؤلف أن أكسفورد ، عند إعدادها طبع نص بكر ، لم تتبع ترقيم صفحاته . وهذا خروج عن المألوف يكاد لا يصدقه العقل .

(٣٦) أفضل كتاب هو :

William Woodthorpe Tarn, Alexander the Great (2 vols.; Cambridge University Press, 1948).

المستند على دراسة دقيقة متزنة لجميع المصادر .

(٣٧) أهم القوس بتدبير اغتيال فيليب كما اتهمت به أو لبيباس مدفوعة بعامل الغيرة . ولا سبيل إلى إثبات أي من الاتهامين ، فأحدهما أو كلاهما قد يكون صحيحاً .

(٣٨) كثيراً ما حدث أن صار معلم الأمير صديقاً ومستشاراً للملك . مثال ذلك ، نيقولا أوريسمي (النصف الثاني من القرن الرابع عشر) ، معلم شارل ولي العهد ، أصبح مستشاراً لشارل الخامس ، (انظر « المقدمة » بالمجلد الثالث ، ص ١٤٨٦) .

(٣٩) كالليستينس مواطن أولينثوس (وهي مدينة وشبه جزيرة خالكيدونكي) رافق الإسكندر مؤرخاً للحملة ، وأشاد بسياسة الإسكندر في توحيد جميع اليونان . ولما وقعت بينهما القطيعة أعدم كالليستينس بتهمة الخيانة .

(٤٠) تقع اسوس في قليقية عند طرف خليج اسوس ، ودورالركن الشمال الشرقي للبحر المتوسط . وهي خارج آسيا الصغرى والمداخل إلى سوريا من طرفها الشمال .

(٤١) كان بريسوس (حكم من سنة ١٧٩ إلى سنة ١٦٨) الثالث والأربعين من ملوك مقدونيا وأخيرهم . ولم يكن ملكاً مغموراً ، غير أن الموقف الذي واجهه كان ميثوساً منه . وظلت المملكة المقدونية قائمة ٥٣٢ عاماً .

(٤٢) اقتبست هذه الملاحظة من تارن وهو يتوسع في شرحها (المجلد الأول ، ص ٩) .

(٤٣) إنتهج نابليون هذه السياسة ، وأما هتلر فكان بلا ريب يرى إلى استعباد غير الألمان أو استئصال شأفتهم .

(٤٤) وما شأن أرسطو ؟ وإلى أي حد كان يونانياً أو متبريراً ؟ من المستحيل الاهتداء إلى ذلك

(٤٥) أوبيس على نهر الدجلة . لما بلغ الإسكندر ذلك المكان ، تمرد الجيش ، فألتي في الجنود خطاباً شرح فيه سياسته واستنّاع أن يبعث فيهم التوكل عليه . انظر :

Tarn, Alexander the Great, vol. p. 115

وقد شيدت سليوكيا ، عاصمة الإمبراطورية السلبيوكية ، على مقربة من أوبيس بحوالي سنة ٣١٢ ، وغدت - بعد أن وصلت بئر القنات قناة - مركزاً تجارياً عظيماً ، وحصناً أمامياً من حصون الحاضرة الليرنانية في الشرق .

(٤٦) يرى ويججر في كتابه (Aristotle, p. 24) أن حوار أرسطو القديم عن «الإسكندر» أو «الاستعمار» ربما عالج فيه الفيلسوف سياسة الإسكندر غير العنصرية وندد بها .

(٤٧) Plutarch, Lives, Alexander, 14 . الترجمة بقلم يرزادوت بيرين في مجموعة لويب الكلاسيكية ، مجلد ٧ ، ص ٢٥٩ .

(٤٨) وفي رأى تارن (المجلد الثاني ، ص ٤٠٩) « أن شيئاً من ذلك لم يحدث » .

(٤٩) كما ورد في باينيوس (النصف الثاني من القرن الأول) ، والظاهر أن روايته عن مساعدة الإسكندر مبالغ فيها (Natural history, viii, 17) . وسنستشهد بفقرات منها في فصل آخر . ويقول اثيناويوس النقراطيبي (النصف الأول من القرن الثالث) « أن الاسطاغيري تسلم ٨٠٠ تالنت من الإسكندر لتأبئة بحثه في الحيوان . (Deipnosophistai, ix, 398 E)

(٥٠) A. Foncher, L'art gréco-bouddhique du Gandhāra (2 vols.; Paris 1905-1918);

The beginnings of Buddhist art (Paris, 1917). J. P. Vogel, Buddhist art (Oxford: Clarendon Press, 1936).

(٥١) قابل اصطباغ الفن الشرقى بالفرقى فى جندهارا اصطباغ الفن الغربى بالشرقى بعد ذلك بعدة قرون فى الشرق الأوسط ، والذي ضرب لنا المرحوم جوزيف شترتر بوجوفسكى (١٨٦٢ - ١٩٤١) أمثلة كثيرة عليه . والتطابق غريب : فالفن البوذى القديم تأثر بالفن الغربى ، وتأثر الفن المسيحى الأول بالفن الشرقى .

(٥٢) Iskandar-nāma, Encyclopedia of Islam, vol. 2 (1921), p. 535.

عن الأسطورة القديمة لكاليستينس الزائف ، انظر :

Tarn, Alexander the Great, vol. 2, by index

(٥٣) نهر هيداسبيس (أو جيلوم) ، أحد فروع السند فى حوض البنجاب . أسس الإسكندر مدينة بوكيفا لآ إحياء لذكرى جواده على مقربة من البقعة التى نفق فيها . ويروى بلوتارخوس (حياة الإسكندر ، ٣٢) « أن الإسكندر كلما خرج لينظم بعض وحدات فيلقه أو يستحث جنوده أو يصدر إليهم تعليماته أو يستعرضهم ، كان يريح بوكيفالوس ، الذى تخطفه وقتئذ ربيع عمره ، ويركب جواداً غيره . لكن كلما خاض غمار معركة ، جرى بوكيفالوس ، فيركبه ويشرع فى الهجوم على الفور . (٥٤) الطريق المؤدى إلى كيفيسيا ومراثون . والمتحف البيزنطى الحالى قريب من مكان الأيكيوم القديم .

Aulus Gellius, xiii, 5. (٥٥)

Diogenes Laërtois, v. (٥٦)

(٥٧) فى رأى فيلهلم كايبل أن كتاب «العالم» ألفت فى النصف الأول من القرن الثانى :

Neue Jahrbücher 15, 529-568 (1905).

(٥٨) عن التراجم اللاتينية ، انظر :

Amable Jourdain, Recherches critiques sur l'âge et l'origine des traductions latines d'Aristote (Paris, 1819; ed. 2, 1843). Alexandre Birkenmajer, "Classement des ouvrages attribués à Aristote par le Moyen âge latin" (Prolegomena in Aristotelem latinum consilio et impensis Academiae Polonae litterarum et scientiarum edita, 1, 21 pp.; Gracovie, 1932).

Dante, *Inferno*, IV, 311. (٥٩)

(٦٠) كثرت المبالغة في رقة أفلاطون ، وما ذلك إلا أثر من آثار السراب الأفلاطوني ، ويتبين من بعض أقواله المتطرفة في « الجمهورية » وفي « القوانين » أنه كان مستعداً للتسوية البالغة . وكانت رفته من ذلك النوع المريب الذي يروج له الدكاتوريون .

(٦١) انظر الدراسة الممتازة التي قام بها :

Jeanne Croissant, *Aristotle et les mystères* (228 pp.; Liège Université de Liège, 1932)
[Isis 34, 239 (1942-43)].

(٦٢) قارن كلام أينشتاين الوارد في مقدمتي (Introduction, vol. 3, p. v.)

(٦٣) يجد القارئ مناقشة ممتازة للغائية من وجهة نظر الكيمياء وعلم وظائف الأعضاء الحديث في

Lawrence J. Henderson, *The order of nature* (240 pp.; Cambridge: Harvard University Press, 1917) [Isis 3, 152 (1920-21)].

« فالغائية - كما قال الفسيولوجي الألماني إيرنست فيلهلم فون بروكه - سيدة لا يستطيع بيولوجي أن يعيش بدونها . ومع هذا فهو يستحي أن يظهر معها أمام الناس » .

Walter Bradford Cannon, *The Way of an investigator* (New York: Norton, 1945), p. 108
[Isis 36, 259 (1946)].

(٦٤) وللتوسع في دراسة تصنيف العلم والمراجع ، انظر مقدمتي : Introduction, vol. 3, pp. 76-77.

(٦٥) يقول بوبر (Popper) في كتابه : The Open Society, vol. 2, p. 11

« العلم لا يرتقى ، بتجميع معارف فروعها بالتدريج كما اعتقد أرسطو ، وإنما بطريقة أكثر جرأة من ذلك . إنه يرتقى بالأفكار الجريئة ، واقتراح نظريات جديدة غريبة (كالنظرية القائلة بأن الأرض ليست مسطحة أو أن « المساحة القياسية » غير مسطحة) ، وهدم النظريات القديمة . « هذا صحيح . غير أن الإنسان ينبغي أن يبدأ كما بدأ أرسطو ، والمنهج الموسوعي كان قابلاً للكمال من وجوه كثيرة ، سواء من ناحية التعمق أو التوسع .

(٦٦) وبعبارة أخرى إن ماهية الشيء - في رأي أرسطو - هي الطور الأخير الذي تتدرج نحوه . وهي تتحقق في المستقبل البعيد ، في حين أن « الصورة » أو « المثل » الأفلاطوني قد تتحقق في الماضي البعيد .

(٦٧) أعني « ألفرد نورث هويتهد » ويستند جانب من شهرته بالفلسفة إلى تأليفه (بالاشتراك مع برتراند رسل) كتاب « المبادئ الرياضية » وما فيه من إبهام عميق .

Principia mathematica (1910 ff.) [Isis 8, 226-231 (1926); 10, 513 - 519 (1928)].